بسم الله الرحمن الرحيم

الجهـاد المـكي وأثـره فـي الدعـوة إلـي اللّه تعـالي

دكتور/عثمان محمد دفع الله علي القُرجي

٢٠١٧م

الإهـــداء

*إلى من علمني النجاح والصبر ...إلى من افتقدته في مواجهة الصعاب ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه...أبي الشفوق العطوف ،الذي علمنا نكران الذات والعمل من أجل الناس ، وزرع فينا القيم النبيلة الفاضلة ،اللهم أغفر له وارحمه وتقبله في جناتك...

*وإلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها ، وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه ، وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها ليخفف من آلامي .. أمي الحنونة ، اللهم أغفر لها وارحمها وتقبلها في جناتك ...

*وإلي روح أخي وشقيقي وحبيبي هاشم الذي رحل عنا باكراً ،اللهم أغفر له وارحمه...

*وإلى من يضيئون لي الطريق ،ويساندونني ويتنازلون عن حقوقهم لإرضائي والعيش في هناء ،أسرتي الصغيرة (الأستاذة مها علي ومحمد ومصطفي ورغد وعلي وهاشم) ،نسأل الله أن يحفظهم وينفع بهم البلاد والعباد...

*وإلي أخوتي الأستاذ فضل المرجى وحاتم والدكتور معتصم والباشمهندس الوسيلة ، وإلي أخواتي نورة والأستاذة عائشة والأستاذة نعمات وسلوي ومنيرة ، احفظهم جميعاً يا الله...

أقول لهم جميعاً :والله إني أحبكم حبا جماً لو مر على أرض قاحلة جرداء ، لتفجرت منها ينابيع المحبة والود والاحترام ، أنتم وهبتموني الحياة والأمل والنشأة على شغف الاطلاع والمعرفة.

*وإلي كل باحث عن الحقيقة في كل دروب المعرفة .

المؤلف

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الحمد في الآخرة والأولى ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبدَ الله ورسوله ، المبعوث بالرحمة والهدى ، وصلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وعلى أصحابه أجمعين ، والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: إن الحديث عن الجهاد حديث مهم، لأنه دخله ما دخله من اللَّبس وسوء الفهم ، نتيجة لقلة العلم والبعد عن التحقيق ، وللبعد عن التواصل مع أهل العلم الأثبات المحققين ، ومن هنا حصل ما حصل من انحراف في فهم المراد من الجهاد ، وأعقب هذا الفهم المنحرف سلوكا منحرفًا ، لذا سوف يكون الحديث والنظر في كلام أهل العلم ، وفي حديثهم عن الجهاد من حيث: تعريفه ، وشروطه ، وضوابطه ، ومواكبة أهل العلم رحمهم الله لتاريخ الأمة كلها ، ومعرفتهم بأحوالها وظروفها ، ومواطن قوتها وضعفها ، كل ذلك بَيَّنَهُ ديننا ، فديننا أكمله ربنا عز وجل وما أكمله فلا ينقص أبدًا لقد اختيرت هذا الموضوع لبيان التضحية التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وليظهر قدر وعظمة هذا الدين ، لقد استخدمت المنهج الوصفي التاريخي ، والطريقة الاستقرائية ، حيث تتبعت مواقفه صلى الله عليه وسلم واستخرجت منها عبرها ودورها في الدعوة .

خطة الكتاب :

اشتمل هذا الكتاب على الموضوعات التالية :

الإهداء

المقدمة

الفصل الأول: مفهوم الدعوة وبيان حكمها وفضلها وأهميتها .

المبحث الأول: تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني: حكم الدعوة .

المبحث الثالث: فضل الدعوة وأهميتها .

الفصل الثاني : مفهوم الجهاد في الإسلام والجهاد المكي .

المبحث الأول : مفهوم الجهاد .

المبحث الثاني: مفهوم الجهاد المكي .

المبحث الثالث: أنواع الجهاد المكي .

الفصل الثالث : مراحل الجهاد المكي

توطئة : النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

المبحث الأول : مرحلة الدعوة السرية (ثلاث سنوات) .

المبحث الثاني : مرحلة الدعوة الجهرية في أهل مكة إلي السنة العاشرة .

المبحث الثالث : مرحلة الدعوة خارج مكة وفشوها فيهم إلي الهجرة .

خاتمة واهم النتائج والتوصيات

الفهارس :

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

الفصل الأول: مفهوم الدعوة وبيان حكمها وفضلها وأهميتها.

المبحث الأول: تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: حكم الدعوة.

المبحث الثالث: فضل الدعوة وأهميتها .

المبحث الأول : تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح

أولا: في اللغة:

الدعوة : من الفعل دعا يدعو ،على وزن فعلة ،والدعوة المرة الواحدة الدعاء ،والدعاء وأحد الأدعية(١) ، وقد دعا فهو داع ، والجمع دعاة وداعون ، مثل قاض وقضاه وقاضون (٢) وجاء في معجم مقاييس اللغة : أن الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد ، ومعناه أن تميل الشيء إليك بصوت ، وكلام يكون منك بقول دعوت ، أدعو ، دعاء والدعوة للطعام، تكون بالفتح ، والدعوة إلى النسب ، تكون بالكسرة ومنه داعية اللبن ، وهو ما ترك في الضرع ليطلب ما بعده ، ومنه تداعت الحيطان إذا سقط واحد وآخر بعده ، فكان الأول يدعو إلى الثاني فيميله ، وهكذا(٣).

وقد وردت هذه الكلمة في لغة العرب لعدة معان، بحسب السياق الذي ترد فيه .

١.الدعوة إلى الطعام والشراب(٤) .

٢. بمعنى النداء: يقال : دعاء الرجل دعوا ودعاء ، أي ناداه ، ودعوت فلان ، صحت به ، وأستدعيه ، والذي يؤذن وينادي الناس للصلاة يسمى داع ، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الخلق إلى التوحيد(٥) ، قال تعالى:(يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا

---

١ مختار الصحاح ،الإمام محمد ابن أبي بكر الرازي ،ترتيب محمد خاطر ،ص٢٠٦ يدون رقم طبعة ،(دار الحديث : القاهرة) بدون تاريخ.

٢ المصباح المنير، أحمد بن محمد بن على الفيومي المقري، ص٧٤ بدون رقم طبعة (مكتبة لبنان)، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٣ معجم مقاييس اللغة – أبو الحسن احمد ابن فارس – تحقيق عبد السلام هارون – ص٢٨٠،٢٧٩ بدون رقم طبعة (دار الفكر) ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

٤ تهذيب اللغة – أبو المنصور محمد بن احمد الأزهري –، ج ٣ ص١٢١ بدون رقم طبعة (الدار المصرية للتأليف والترجمة مصر) بدون تاريخ.

٥ لسان العرب، ابن منظور الأفريقي المصري ج ٤ ، ص٣٥٦٠ ، ط٢ (بيروت : لبنان) ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

دَاعِيَ اللَّـهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)(٦) أي محمدا صلى الله عليه وسلم(٧) يلاحظ إن الفعل يتأثر بما يدخل عليه من حروف الجر ،كقولك : دعا له إذا طلب له الخير من الله ، ودعا عليه أي طلب له الشر ، ودعا فلان بفلان أي ناداه وصاح به ، ومنه دعا المؤذن الناس إلى الصلاة وهكذا(٨).

٣. وتأتي بمعنى (الاستغاثة)(٩) و(الاستعانة)(١٠) ، ومنه قوله تعالى: (وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(١١) ، قال الفراء(١٢):(أي استغيثوا بهم)(١٣) .

٤. المداعاة بمعنى المحاجة : قال الشاعر(١٤):

اداعيك ما مستصحبات السرى(١٥) *** حسان وما اثارها بحسان

٥. وتأتي بمعنى التسمية: قال ابن منظور(١٦): (دعوته يزيد ودعوته اياه: سميته به)(١٧) ، وقال الفيروز أبادي: (دعوته: سميته)(١٨) .

---

٦ سورة الاحقاف : الآية (٣١) .

٧ انظر: الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي– تعليق محمد إبراهيم الحفناوي، ج١٦ ص ٢٠٩ ، ط٢ (القاهرة : دار الحديث)، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٨ معجم مقاييس اللغة – أبو الحسن احمد ابن فارس – تحقيق عبد السلام هارون – ص٢٧٩، ٢٨٠ بدون رقم طبعة (دار الفكر) ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

٩ انظر: لسان العرب – مادة دعا ج ١٤، ص ٢٥٨ – مرجع سابق

١٠ الكليات – أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين الكوفي– ص٤٤٧ ، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة ، لبنان) هـ ١٩٩٣م .

١١ سورة البقرة الآية (٢٣) .

١٢ هو انو زكريا يحي بن زياد بن مروان الديلمي بعد من أقطاب المدرسة الكوفية في النحو له ميل غالى الفلسفة والاعتزال له كتاب معاني القرآن مات سنة ٢٠٧هـ انظر بغية الدعاة ج ٢ ص ٢٣٢.

١٣ لسان العرب، مادة دعا، ج ١٤، ٢٥٨ مرجع سابق .

١٤ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ج٦، ص٢٣٣٦، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، لبنان)، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.

١٥ أي السيوف .

١٦ هو جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأفريقي ولد سنة ٦٣٠ وهو لغوي فقيه ولي قضاء طرابلس الغرب وله ميل إلى التشيع من أشهر مصنفاته لسان العرب مات سنة ٧١١هـ بغية الدعاة ج١، ص٣٤٨.

١٧ لسان العرب لابن منظور، ١٤،ص٢٦١. مرجع سابق.

٦. الحث على الشيء والسوق اليه: ومنه قولك: دعاه إلى الامير إذا ساقه اليه ، أو حثه للذهاب اليه(١٩).

٧. الدعوة بالكسر في النسب: يقال فلان دعي بين الدعوة ، والدعوى في النسب(٢٠) ، وقال ابن منظور:(والدعوة ، بكسر الدال ادعاء الولد الداعي غير أبيه)(٢١) .

٨. وتأتي بمعنى التجمع: قال الفيروزي أبادي(٢٢): (تأتي بمعنى التجمع ، تداعوا عليه: تجمعوا)(٢٣) .

٩. الدعوة : الحلف: يقال دعوة بني فلان في بني فلان(٢٤).

١٠. السؤال: ومنه قوله تعالى: (قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا)(٢٥) ، أي سل لنا ربك(٢٦). يجوز إن يطلق لفظ الدعوة في معنى الدعاء ، كقوله تعالى: (﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ)(٢٧) ، والدعوة هنا بمعنى الدعاء(٢٨) .

١١.التضرع والتوسل والابتهال(٢٩): ومنه دعوت الله ، أي ابتهلت اليه بالسؤال(٣٠).

---

١٨ القاموس المحيط، الإمام مجد الدين الفيروزي أبادي، ج٤، ص٣٢٨، ط٥ (نشر المكتبة التجارية الكبرى: القاهرة، مصر) بدون تاريخ.

١٩ انظر لسان العرب، ج٤، ص٣٦١، مرجع سابق.

٢٠ انظر: جمهرة اللغة، ابوبكر محمد بن الحسن الازدي البصري المعروف بابن دريد، ج٢، ص٢٨٣، بدون رقم طبعة (مؤسسة عيسى ألبابي الحلبي وشركاه – القاهرة مصر). بدون تاريخ طبعة. وانظر الصحاح للجوهري، ج٦، ص٢٣٣٦ – مرجع سابق.

٢١ انظر لسان العرب، لابن منظور، ج١٤، ص٢٦١، مرجع سابق.

٢٢ محمد بن يعقوب بن محمد بان إبراهيم الشيرازي الفيروز أبادي ولد سنة ٧٢٩هـ واخذ عن ابن القيم وابن السبكي وهو محدث لغوي فقيه له مصنفات منها القاموس المحيط تسهيل الوصول الوجيز مات سنة ٨١٦هـ بغية الدعاة، ج١، ص٢٧٤

٢٣ القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ج٤، ص٣٢٧. مرجع سابق.

٢٤ تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن احمد الأزهري، ج٣، ص١٢١، بدون رقم طبعة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) بدون تاريخ.

٢٥ سورة البقرة: الآية (٦٩) .

٢٦ انظر لسان العرب، ج٤،ص٣٦١ .

٢٧ سورة يونس: الآية(١٠) .

٢٨ انظر: لسان العرب، ج٤، ص٣٦٠ .

٢٩ انظر المفكر العربي المعاصر، محمود إسماعيل جبني وآخرون، ط١ (مكتبة لبنان ناشرون: بيروت لبنان)، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١٢. دعاه إلى الأمر: ساقه. ومنه قول ذي الرمة: تدعو أنفه الريب(٣١) .

١٣.الرفعة والتنويه: قال الراغب الأصفهاني(٣٢): في قوله تعالى: (لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا)(٣٣) أي: رفعة وتنويه(٣٤) .

١٤.العبادة(٣٥): وقد جاء هذا المعنى لكلمة الدعاء ، في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه النعمان بن بشير(٣٦) قال: (الدعاء هو العبادة ، وقرأ: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)(٣٧)...(٣٨) ، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(٣٩) ، أي تبعدون(٤٠) .

١٥. الحث على القصد: قال الراغب الأصفهاني(٤١): والدعاء إلى الشيء: الحث على قصده ، قال تعالى :(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)(٤٢) ، وقال :(وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(٤٣) .

---

٣٠ انظر المصباح المنير، احمد بن محمد علي الفيومي المقري، ص٧٤، بدون رقم طبعة، (مكتبة لبنان: بيروت)، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٣١ انظر لسان العرب، لابن منظور، ج١٤، ص٢٥٩ مرجع سابق .

٣٢ الراغب هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني الملقب بالراغب الأصفهاني متكلم لغوي من أشهر مصنفاته المفردات في غريب القرآن انظر ترجمته في سير إعلام النبلاء، ج١٨، ص١٢١.

٣٣ سورة غافر: الآية (٦٠) .

٣٤ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ضبط محمد سيد كبلاني، ص١٦٩ بدون رقم طبعة (دار المعرفة: بيروت لبنان)، ١٩٣٠.

٣٥ انظر لسان العرب، لابن منظور، ج٤، ص٣٦٠

٣٦ النعمان بن بشير بن مقرن أول مولود للأنصار بعد الهجرة له ولأبويه صحبه، قتله أهل حمص بعد وقعة مرج رهط، سنة ٥٦٤، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبو الحسن على بن محمد الجزري، تحقيق وتعليق علي محمد معوض، عادل احمد عبد الموجود، ج٥، ص٣١٠-٣١١، بدون رقم طبعة، (دار الكتب العلمية: بيروت لبنان)، بدون تاريخ.

٣٧ سورة غافر: الآية (٦) .

٣٨ رواه الترمذي، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن سورة، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ج٥، ص٢١١، ط٢ (مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي: مص)، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م — قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

٣٩ سورة الأعراف: الآية (١٩٤) .

٤٠ انظر: الجامعة لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد ابن احمد الأنصاري القرطبي ج٧، ص٣٢٥، ١٩٩٦م. مرجع سابق.

٤١ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كبلاني، ص١٦٩، بدون رقم طبعة.(دار المعرفة: بيروت لبنان). ١٩٣٠م.

١٦.صوت الخيل في الحرب: قال الفيروزي آبادي :(والداعية صريخ الخيل في الحرب)(٤٤) .

١٧.الزعم: قال الفيروزي آبادي :(أدعي كذا : زعم)(٤٥) .

١٨.الرغبة: قال ابن منظور: (والدعاء الرغبة إلى الله عز وجل ، دعاه دعاء ودعوى . حكاه سيبويه(٤٦) في المصادر التي آخرها ألف التأنيث) .

قال الشاعر: (ولت ودعواها شديد صخبه)(٤٧) .

والدعاء الرغبة إلى الله والعبادة ، نحو قوله تعالى: (وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ)(٤٨) ومنه قوله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)(٤٩) أي يعبدونه ، قال مجاهد(٥٠) : الصلوات الخمس ، وروي ذلك عن سعيد بن المسيب(٥١) في قوله تعالى:(... لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا...)(٥٢).

---

٤٢ سورة يوسف : الآية (٣٣) .

٤٣ سورة يونس : الآية(٢٥) .

٤٤ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ج ٤ ، ص ٣٢٧ ، مرجع سابق .

٤٦ سيبويه أمام النحو حجة العرب أبو بشر عمرو بن عثمان البصري إمام النحاة هو فارس الأصل له مصنفات أشهرها الكتاب في النحو مات سنة ١٨٠هـ سير إعلام النبلاء ج ٨ ص ١٥٢ .

٤٧ لسان العرب ، لابن منظور – مادة دعا ، ج ١٤ ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨.

٤٨ سورة يونس: الآية (١٠٦) .

٤٩ سورة الكهف: الآية (٢٨) .

٥٠ مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي قرأ على ابن عباس وصحب ابن عمر واخذ عنه وحدث عنه قتادة وعمرو بن دينار وأيوب ومنصور والأعمش وابن عون وغيرهم توفى سنة ١٠٣، طبقات المفسرين ج١، ص١١

٥١ سعيد المسيب بن فرح بن أب وهب بن عمرو بن عائد بن عمران انب محزم بن يقظة الإمام العالم أبو محمد القرشي المخزومي عالم أهل المدينة من كبار التابعين أدرك عليا وعثمان: سمع أبا هريرة وأبا سعيد وروى عنه الزهري ويحيى بن سعيد مات سنة ٩٣هـ سير إعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٤٦.

٥٢ سورة الكهف: الآية (١٤) .

١٩. صفة للنبي صلى الله عليه وسلم: قال الفيروز أبادي : (والنبي صلى الله عليه وسلم: داعي الله)(٥٣) .

ثانيا : في الاصطلاح :

يجد الباحث صعوبة في أن يضع تعريفا محددا للدعوة ، وذلك نسبة للاهتمام الكبير الذي وجدته كعلم في الوقت الحاضر ، ولا سيما وقد تعددت فيها الرسائل العلمية ، والبحوث الدعوية ، والتي كان همها توضيح الأهمية الكبيرة التي تحظى بها هذه الدعوة ، والمعنى العظيم لمدلول الكلمة .

وقبل سرد التعاريف التي ذكرها الباحثون ، لابد أن نوضح على أن هذا الاختلاف أنما هو اختلاف من قبيل التنوع ، وكل تعريف منها عنى بجانب من جوانب الدعوة ، وليس من قبيل اختلاف التضاد ، وهي تعنى بالوصف أكثر مما تعنى بالحد، وذلك لان الدعوة أقرب إلى التطبيق العملي منها إلى التدوين العلمي وعلى كل حال فان تعاريف الدعوة تنصب جميعا في احد معنيين كبيرين ، حيث تطلق ويراد بها علمية تبليغ الدين ، وبيانه للناس ، وتطبيقه في واقع حياتهم وهذا هو المعنى الأول.

وتطلق ويراد بها الدين أو الرسالة وهو المعنى الثاني ، وسياق ورودها هو الذي يحدد المعنى المراد من هذين المعنيين ، ولكنها في كثير من الأحوال الخاصة بأقسام الدعوة تعنى أكثر ما تعني بالجانب الأول الذي هو جانب البلاغ ، والبيان وما يتبعهما ، وعليه فسوف نركز على ما يتعلق بهذا الجانب من تعاريف ، **فمنها:**

---

٥٣ انظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ج ٤ ص ٣٢٧ .

١.الدعوة الإسلامية حركة إحياء للنظام الإلهي الذي انزله الله عز وجل على نبيه الخاتم صلى الله عليه وسلم(٥٤) .

٢.هي نقل أمة من محيط إلى محيط(٥٥) .

٣.قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٥٦):(الدعوة إلى الله ، هي الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسوله ، بتصديقهم فيما اخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا به ، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره شره ، والدعوة إلى إن يعبد العبد وربه كأنه يراه)(٥٧) الملاحظ انه اعتمد على حديث جبريل الطويل(٥٨) ، الذي يقسم درجات الدين ، وقد أجمل تعريفه للدعوة بعد حديثة السابق بصفحات بقوله :(كل ما أحبه الله ورسوله ، من واجب ومستحب ، من باطن وظاهر ، فمن الدعوة إلى الله به ، وكل ما ابغضه الله ورسوله من باطن وظاهر ، فمن الدعوة إلى الله النهي عنه ، لا تتم الدعوة إلى

---

٥٤ الدعوة الإسلامية منهاجا وغاياتها، د / رؤوف شلبي ، ص ٣٢ ط٣(دار القلم الكويت) ١٤٠٢هـ.

٥٥ تذكرة الدعة ، البهي الخولى ، ص ٣٥ ط٦ (مكتبة الفلاح : الكويت) ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ،

٥٦ احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني مفسر محدث فقيه أصولي له مصنفات منها : منهاج السنة النبوية القول الصريح اقتضاء الصراط المستقيم قاد المجاهدين ضد التتار سجن لبعض اراءه الجريئة مات في السجن سنة ٧٢٧هـ الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٧/٢.

٥٧ مجموع الفتاوى – شيخ الإسلام ابن تيمية – جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العصاي النجدي ج ١٥ ، ص ١٥٧ – ١٥٨ ، بدون رقم طبع (الرئاسة العامة لشئون الحرمين : مكة السعودية) ١٤٠٤ هـ .

٥٨ حديث جبريل أخرجه مسلم كتبا الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان برقم ٨ ج ١ ص ٢٦ لفظه عن عمر بن الخطاب قال: (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديدي سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر لا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبته إلى ركبته ووضع كفه على فخذيه وقال يا محمد اخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه فال فاخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فاخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال فاخبرني عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاه يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبثت ماليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) .

الله إلا بالدعوة إلى إن يفعل ما أحبه الله ، ويترك ما ابغضه الله ، سواء كان من الأقوال ، أو الأعمال الباطنة أو الظاهرة)(٥٩).

٤. حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوز بسعادة العاجل والآجل(٦٠).

٥.هي الإسلام ، من حيث المبادئ والقيام بنشره وجذب الناس إليه بالوسيلة المناسبة(٦١).

٦. هي الحث على فعل الخير ، واجتناب الشر ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتحبب بالفضيل ، والتنفير من الرذيلة ، وإتباع الحق ، ونبذ الباطل(٦٢).

وأري أن التعريف حتي يكون شاملاً ومواكباً لمتطلبات المرحلة يجب أن يكون هو:(هي عبارة عن المجهودات العلمية والعملية ، التي يقوم بها الدعاة إلي الله تعالي ، لتبليغ الإسلام للإنسان مطلقاً عبر منهج صحيح ووسائل وأساليب مباحة ومتجددة ، وذلك لربط الأصل بالعصر) .

المبحث الثاني :حكم الدعوة .

الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية ، والنبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل ، فلا نبي بعده ، وقد انقطع الوحي من السماء ، وبانقطاع الأنبياء السماوية عن أهل الأرض ، لا بد أن يكون الدين الخاتم هو المهيمن والناسخ للأديان السابقة

---

٥٩ مجموع الفتاوى ج ١٥ ، ص ١٦٤ – المصدر السابق .

٦٠ الدعوة إلى الإصلاح، محمد الخضر حسين ، ص ١٧ ، بدون رقم طبعة (المطبعة السلفية : القاهرة ،مصر) ١٣٤٦هـ .

٦١ أساليب نجاح الدعوة الإسلامية، عبد الله بن محمد آل موسى، ص ٢٧ ، ط ١ (دار عالم للكتب : الرياض السعودية) ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٦٢ مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب ، ص ٢٤ ط ١ (دار المعرفة : بيروت لبنان) ١٤٠١ هـ ١٩٨١م .

، فلا هدى ولا رشاد ولا فلاح إلا به ، والله سبحانه وتعالى لا يقبل دينا غير الإسلام ، قال تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(٦٣). خسران في الدنيا ، فتتحول حياتهم إلى جحيم ، ويصبحوا كلا إنعام وأضل سبيلا ، وخسران في الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم تتطاير الصحف ، فيكون مصيرهم النار وبئس المصير .

تولى النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة بنفسه ، وكانت دعوته لمن يلاقيهم من الأقوام ، أحادا وجماعات ، وكان يرسل جماعات من أصحابه ، إلى الأقوام يهدونهم ويعلمونهم ، على الرغم من الغدر والخيانة التي بدرت من بعض الأعراب بحق الدعاة الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغه رسالة ربه بالرسل يرسلها إلى الأقاليم ، قاصيها ودانيها ، سهلها ووعر ، بل تجاوز في تبليغه إلى غير العرب ، فأرسل إلى هرقل ملك الرومان ، والى المقوقس عظيم مصر ، والى النجاشي ملك الحبشة ، والى كسرى ملك الفرس .

إذا كان حال البشرية اليوم يسيطر عليه الفساد والانحلال الخلقي ، والبعد عن الله ، حيث لم تنج بقعه في الأرض من الانحلال ، ومبادئ الكفر والضلال ،فالدعوة إلى الإسلام أصبحت فريضة شرعية ، وضرورة حتمية على ل من انتساب إلى امة الإسلام ، شيباً وشباباً ، رجالاً ونساءً ، صغاراً وكباراً ، حكاماً ومحكومين ،خاصة وعامة ... كل يقوم بهذه المهمة على حسب حاله وحسب طاقته ، وحسب إيمانه ، وحسب إحساسه بواقع المسلمين وأحوال المجتمعات البشرية .

٦٣سورة آل عمران : الآية (٨٥)

اتفق أهل العلم على وجوب الدعوة الإسلامية ، وكان ذلك الاتفاق اجماعاً انعقد في عصر الصحابة ، ثم عصر التابعين ، والإجماع لا ينقص إذا تخاذل المسلمون عنه، وقعدوا عنه ، فلم يقوموا بحقه ، ولكن هذا الوجوب الخاص بتعليم الناس حقائق الإسلام اهو وجوب على الخاصة ، أم هو على الكافة ؟ وبعبارة أدق ، اختلف العلماء في نوع هذا الوجوب ، اهو فرض عين ، أم فرض كفاية ؟ ولكل قول جماعة من العلماء .

أولا: القائلون بالوجوب العيني :

استدل القائلون بان حكم الدعوة واجب عيني على كل مكلف حسب طاقته ، بقوله تعالى : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(٦٤) فسر هذا الفريق من العلماء كلمة (من) من الآية بأنها للتبيين وليست للتبعيض(٦٥) ، ومن ثم حكموا بأن حكم الدعوة واجب عيني على كل مسلم بقدر استطاعته.

ومن أدلة هذا الفريق كذلك قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم

---

٦٤ سورة آل عمران : الآية (١٠٤)

٦٥ قال علماء النحو أن حرف الجر (من) يأتي لمعان عدة منها : التبعيض كقول الله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) البقرة: ٨ .

والتعليل كقوله تعالى (من اجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) ٣٢ المائدة

وابتداء الغاية في المكان كقوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) الإسراء ١

وابتداء الغاية في الزمان كقوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق إن تقوم فيه) التوبة ١٠٨

وبيان الجنس كقوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) الحج ٣٠ ،معنى البدل كقوله تعالى (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) التوبة ٣٨ راجع شرح الشافية الكافية ج٢، ص٧٩٦، سرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج٢، ص١٤.

مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)(١١٠)(٦٦) ، فعموم هذا اللفظ الرباني الذي وصف هذه الأمة بالخيرية ، التي هي مقرونة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإيمان بالله، والخطاب عام لكل الأمة ، فجعلت الدعوة سمة من سمات الأمة المسلمة ، فتكون واجبة عليها جميعا ، ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)(٦٧) ، فلا مكلف إلا وتجب عليه الدعوة إلى الله تعالى(٦٨) ، وقال الطوسي(٦٩) ، في تفسير الآية: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ) ، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الأعيان(٧٠) .

واستدل ابن كثير(٧١) ، بالآية (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...) ، ويرى إن الصحيح في هذه الآية أنها عامة في جميع الأمة ، كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم(٧٢) .

ومن أدلة القائلين بالوجوب العيني ، قوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٧٣) ، فالآية تدل

---

٦٦ سورة آل عمران: الآية ١١٠

٦٧ الحديث أخرجه الترمذي باب الحديث عن بني إسرائيل برقم ٢٦٦٩، ج٤، ص٤٠.

٦٨ انظر: التفسير الكبير – فخر الدين الرازي، ج١، ص١٧٧–١٧٨، بدون رقم طبعة (مطابع عبد الرحمن محمد طه)، بدون تاريخ.

٦٩ أبو جعفر الطوسي شيخ الشيعة وصاحب التصنيف أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي تفقه أولا على مذهب الشافعي ثم تحول إلى مذهب الأمامية وصنف التسفير وروي عن هلال الحفار والحسين بن عبيد الله الفحام والشريف المرتضى واحمد ابن عبدون وطائفة روي عنه ابنه أبو علي مات في المحرم سنة ٤٦٠هـ سير أعلام النبلاء ج: ١٨، ص٣٣٥.

٧٠ انظر: البيان في تفسير القرآن – أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي – صححه ورتبه وعلق حواشيه احمد شوقي واحمد حبيب قصير، ج٢، ص٥٥١.

٧١ هو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير مفسر حافظ فقيه مؤرخ من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية وهو شافعي المذهب له مصنفات منها تفسير القرآن العظيم قصص الأنبياء البداية والنهاية مات سنة ٧٧٤هـ انظر شذرات الذهب ج٦، ص٢٣١.

٧٢ تفسير القرآن العظيم – الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ج١، ص٣٤٢، ط١(دار المفيدة لبنان)، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٧٣ انظر تفسير القرآن العظيم – ابن كثير، ج١، ص٣٤٤، المصدر السابق.

على أن الدعوة إلى الله واجبة على من اتبعه ، وهم أمته يدعون إلى الله كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله.

نقل الشوكاني(٧٤) عن البراء(٧٥) رضي الله عنه قوله في تفسير هذه الآية: إن فيها دليلا على إن كل متبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حق عليه إن يقتدي به في الدعاء إلى الله تعالى ، أي الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده.

ومن أدلة القائلين بالوجوب العيني كذلك ، قوله تعالى: (والعصر إِنَّ الإنسان لفِي خُسْرٍ إِلا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر)(٧٦) ، اقسم الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بالعصر الذي بعث فيه نبيه ، لشرفه على كل العصور ، اقسم وأكد إن جنس الإنسان لفي ضياع وخسران إلا من تحقق: الإيمان بالله والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، فالذي تدل عليه السورة: إن أي إنسان في هذه الحياة إذا لم يكن مؤمنا بالله الواحد الأحد ، وإذا لم يكن سالكا سبيل العمل الصالح ، وإذا لم يكن متواصيا مع المؤمنين بالتمسك بالحق والمجاهرة به ، وإذا لم يكن صابرا على المحنة والبلاء ، راضيا بما قدر الله عليه ، فانه يكون لا محالة خاسرا ضالا ضائعا ، فالدعوة إلى الله إذن من اوجب الواجبات

---

٧٤ هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ولد سنة ١١٧٢هـ كان متفقها على مذهب الإمام زيد ثم ادعى الاجتهاد وهو فقيه مفسر محدث له مصنفات كثيرة منها فتح القدير والسيل الجرار ونيل الاوطار مات سنة ١٢٥٠هـ الإعلام ج٧، ١٩٠١م.

٧٥ البراء بن عازب بن حارث بن عدن الخزرجى الأنصاري رده النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر لصغر سنه وقيل أن أول غزوة شهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم هي = الأحزاب وشهد الجمل وصفين مع علي عليه السلام ونزل الكوفة ومات بها سنة ٧٢هـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج١، ص٥٤.

٧٦ سورة العصر.

في نظر الإسلام ، بل هي واجبة على كل إنسان بحسبه(٧٧) . واستدلوا كذلك بقوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(٧٨) ، وقوله تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ)(٧٩) .

قال القرطبي(٨٠) في تفسير: (فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على إن اخص أوصاف المؤمن: الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ورأسها: الدعاء إلى الإسلام)(٨١) .

ومن أدلة القائلين بالوجوب العيني ، قوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)(٨٢). فمن في قوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا..) لفظ من ألفاظ العموم ، ويشمل هذا اللفظ كل من استطاع تغيير المنكر باليد أو اللسان أو القلب ، سواء أكان المنكر من العامة أو الخاصة ، إذا فقهوا الخطر الذي يترتب عليه تفشي المنكر في المجتمع الإسلامي (٨٣) .

---

٧٧ سلسلة مدرسة الدعاة – عبد الله ناصح علوان – ج١، ص٩٧، ط١، (دار السلام: القاهرة – مصر) ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٧٨ سورة التوبة، الآية ٧١

٧٩ سورة التوبة: الآية ٦٧

٨٠ هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي مفسر محدث فقيه اخذ عن أبي العباس القرطبي وغيره من مصنفاته الجامع لأحكام القران التذكار في أفضل الأذكار التذكرة توفى سنة ٦٧١ هـ انظر شجرة النور الزكية ج١/٢٩٧.

٨١ تفسير القرطبي، ج٤، ص٤٧ – مصدر سابق.

٨٢ مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢/ص٢١-٢٢، ط٢ (دار الفكر: بيروت) بدون تاريخ.

٨٣ سلسلة مدرسة الدعاة – عبد الله ناصح علوان – ج١، ص١٠٢، مصدر سابق.

ذكر الإمام النووي(٨٤) في شرح هذا الحديث إن قوله صلى الله عليه وسلم:(.... فَلْيُغَيِّرْهُ) أمر إيجاب بإجماع الأمة ، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وهو أيضا النصيحة التي هي الدين ، وأما قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)(٨٥) فليس مما ذكرناه ، لان المذهب الصحيح في معنى الآية إنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم(٨٦) .

واستدل كذلك ابن كثير بالحديث: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا...)(٨٧) وهنالك من استدل بالحديث ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه (٨٨) قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثره علينا (أي الإيثار) ، وألا ننازع الأمر أهله ، إلا إن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان ، وعلى إن نقول الحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم)(٨٩) .

ماذا تعني كلمة (بايعنا)؟ وماذا تعني كلمة: (إن تقول الحق أينما كنا..)؟ أليست تعني إن على كل من انتمى الى جماعة المسلمين إن يعطي البيعة والعهد لأمير

---

٨٤ هو الإمام شيخ الإسلام يحي بن شرف بن مري بن حسن بن حسين النووي الدمشقي حافظ فقيه اخذ عن ابن مالك وأبي إسحاق المغربي وشمس الدين المقدسي وغيرهم كان عابدا زاهدا له مصنفات كثيرة منها شرح صحيح مسلم المجموع، المنهاج توفى سنة ٦٧٧هـ طبقات الشافعية لقاضي شهبه ج١، ص١٥٣.

٨٥ سورة المائدة: الآية ١٠٥

٨٦ صحيح مسلم بشرح النووي – محي الدين أبو زكريا الشافعي النووي، ج٢، ص٢٢، بدون رقم طبع (المطبعة المصرية ومكتبتها)، بدون تاريخ.

٨٧ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص٣٤٢-٣٤٣.

٨٨ عبادة بن الصامت بن قيس بن اصرم الامام القدوة أبو الوليد الانصاري احد النقباء ليلة العقبة ومن اعيان البدريين سكن بيت المقدس حدث عنه أبو امام الباهلي وانس بن مالك أبو مسلم الخولاني وآخرون مات سنة ٤٥ه سير اعلام النبلاء ج٢، ص١١.

٨٩ البخاري، ج٤، ص١٥٤ برقم ٧١٩٩، ومسلم ١٤٧٠ كتاب الامارة ج٩، ص ١٧٠.

على إن يسمع ويطيع في العسر واليسر ، وان لا ينشق عن امير الجماعة الا إذا أمر بالمعصية أو دعي الى كفر بواح ، وان يقول الحق أينما كان ، وان لا يخاف في الله لومة لائم....)(٩٠) واستدل ابن كثير كذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو يوشكن الله إن يبعث عليكم عقابا من ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)(٩١) .

ومن الأدلة لهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ليبلغ الشاهد الغائب)(٩٢) .

فخلاصة هذا المذهب هو إن الدعوة فرض عين على كل مسلم ، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية ، وهي المكلفة بالدعوة إلى الله مكلف بهذا الواجب ، ذكرا كان أو أنثى ، فإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنون به يدعون إلى الله على بصيرة أي علي علم ويقين ، كما كان رسولهم صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله على بصيرة ويقين ، ومعنى ذلك إن من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم إن يدعو إلى الله، فإذا تخلف عن الدعوة ، دل تخلفه هذا على وجود نقص أو خلل في إيمانه ، يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب واجب الدعوة إلى الله .

ثانيا: القائلون بالوجوب الكفائي:

استدل القائلون بأن حكم الدعوة إلى الله واجب كفائي ، إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، بقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

---

٩٠ سلسلة مدرسة الدعاة –د/ عبد الله ناصح علوان – ج١، ص١٠٠ .

٩١ أخرجه الترمذي في السنن ابواب، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلفظه عن حذيفة بن اليمان، برقم ٢١٦٩، ج٤، ص٤٦٨ وقال الترمذي هذا حديث حسن.

٩٢ اخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حجة الوداع (رقم ٤٤٠٦) ص ٧٤٧ ومسلم في كتاب القسامة والمتحاربين، باب تغليظ تحريم الدماء (رقم ١٦٧٩) ص ٦٩٥.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٩٣] ، وهي نفس الآية التي استدل بها أصحاب الرأي الأول ، الذين يرون استخدام اللفظ (من) للتبيين ، ولكن أصحاب الرأي الثاني يرون إن (من) في هذه الآية للتبعيض ، ومن ثم حكموا على الدعوة بالوجوب الكفائي.

من الذين حكموا بالوجوب الكفائي الطبري(٩٤) الذي فسر قوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) بمعنى جماعة يدعون إلى الإسلام وشرائعه ، وهم الذين ينجون عند الله تعالى ويدخلون جناته(٩٥).

وقال القرطبي: إن (من) في الآية للتبعيض ، ومعناه: إن الأمر يجب إن يكون على العلماء ، وليس كل الناس علماء)(٩٦) .

ومن الذين رجحوا إن تكون كلمة (من) للتبعيض الشوكاني في كتاب فتح القدير ، قائلا: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكافيات ، يختص به أهل العلم ، لعلمهم إن ما يأمرون به معروفا ، وما ينهون عنه منكرا)(٩٧) .

ومن الذين حكموا بالوجوب الفائي شيخ الإسلام ابن تيمية في حديث طويل قائلا: (وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة ، وهو الذي يسميه العلماء فرض كفاية ،

---

[٩٣] سورة آل عمران: الآية ١٠٤

٩٤ محمد بن جرير الطبري الامام راس المفسرين على الاطلاق ولد بطبرستان عام ٢٢٤ كان اولا شافعيا ثم انفرد بمذهب مستقل وهو مفسر حافظ وفقيه ومؤرخ له مصنفات منها جامعة البيان تهذيب الآثار اختلاف الفقهاء تاريخ الامم و الملوك مات سنة ٣٢٠ هـ – غاية النهاية ١٠٦/٢ ومعجم الادباء ٥٥/١٨ طبقات المفسرين ٥٠/١١.

٩٥ انظر جامع البيان عن تأويل القرآن – محمد بن جرير الطبري – ج٣، ص٣٨(دار الفكر : بيروت لبنان) بدون تاريخ.

٩٦ الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، ج٤، ص١٦٥.

٩٧ فتح القدير الجامعة بين فني الرواية والدراية من عمل التفسير – محمد بن علي الشوكاني – (دار الفكر لبنان) بدون تاريخ، ج١، ص٣٦٩.

إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقين ، فالأمة كلها مخاطبة بفعل ذلك ، ولكن إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ)(٩٨).

ويقول رحمه الله في هذا السياق ، مؤكدا فرض الكفاية: (وكل واحد من الأمة يجب عليه إن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه ، إذا لم يقم عليه غيره ، فما قام به غيره سقط عنه ، وما عجز عنه لم يطالب به ، وإما ما لم يقم به غيره ، وهو قادر عليه فعليه إن يقوم به ، ولهذا يجب على هذا إن يقوم بما لا يجب ، وتكون الدعوة على الأمة بحسب ذلك)(٩٩) .

٩٨ سور آل عمران: الآية (١٠٤).

٩٩ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج١٥، ص١٦٥.

المبحث الثالث : فضل الدعوة وأهميتها وحاجة الناس إليها .

الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لها أهمية عظيمة عند الله سبحانه وتعالى ، وهي من الضرورات التي لا غناء للإنسان عنها ، كونها يتم بها إقامة الحجة على الناس ، وتلك من المهمات التي بعث الله عز وجل لأجلها رسله ، وانزل كتبه ، ربها يستجيب من يستجيب ويعرض من يعرض بعد البينان ، لان الله عز وجل لا يعذب من علم أزلا شقاءهم حتى يقيم عليهم الحجة ، كما يقول الله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)(١٠٠).

لقد ذكر وهبة الزحيلي في هذه الآية :(تدل آية وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا على أن أهل الفترة " فترة انقطاع الرسل " الذين لم تصلهم رسالة ، وماتوا ولم تبلغهم الدعوة وهم أهل الجاهلية وأمثالهم في الجزر النائية الذين لم يسمعوا بالإسلام في زماننا هم ناجون ، من أهل الجنة ، ومثلهم أولاد المشركين والكفار الذين ماتوا وهم صغار قبل التكليف ، وآباؤهم كفار ، وكذا المجنون والأصم والشيخ الخرف)[١٠١] .

وكل هذا لا يتم إلا لهداية الناس وإرشادهم إلى الحق ، وبذل الجهد في الدعوة إلى الله عز وجل ، وإما كونها ضرورة كذلك ، لان الدنيا لا تخلو من وجود نوازع الشر والمطامع والأهواء ، وأرباب هذه النوازع لا يقبلون إلا ما يريدون إلا عن طريق الفساد والإفساد ، ولذلك يرمون إلى شيوع الفاحشة في المجتمعات ، لكي يحققوا أمانيهم التي يتمنونها ، وقد انذر سبحانه أمثال هؤلاء في قوله تعالى: (إِنَّ الذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ

---

١٠٠ سورة الإسراء: الآية(١٥).

[١٠١] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (فقهى و تحليلي)، وهبة بن مصطفى الزحيلي ،(دار الفكر المعاصر : بيروت دمشق)١٤١٨ هـ ج١٥ص٣٧ .

الفَاحِشَةُ فِي الذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(١٠٢).

إذا لابد من مواجهة أمثال هؤلاء، حتى لا يغثوا في الأرض فساداً ، وهذا لا يتم إلا عن عباد حبب الله إليهم هذا الدين ، حملوا همه ويرون هذا الفساد ما هو إلا حرب على الله سبحانه وتعالى ، ولذلك يعلنون الحرب على أمثال هؤلاء ، إلا وهم القائمون بالدعوة إلى الله عز وجل ، قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)(١٠٣).

ولابد من إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإلا فسوف يخرق السفهاء السفينة ، إشباعا لشهوتهم ورغباتهم، وحينئذ لا ينجو احد ممن على ظهرها ، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا ، الْمُدَّهِنِ فِيهَا ، مَثَلُ قَوْمٍ رَكِبُوا سَفِينَةً ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، وَأَوْعَرَهَا ، وَشَرَّهَا، وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا الْمَاءَ ، مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَآذَوْهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، فَاسْتَقَيْنَا مِنْهُ ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَأَمْرَهُمْ ، هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ ، نَجَوْا جَمِيعًا)(١٠٤) ، كما حذر الله من مغبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا

---

١٠٢ سورة النور: الآية (١٩).

١٠٣ سورة الأنفال: الآية (٧٣).

١٠٤ البخاري: كتاب الشركة. ١٨٢/٣ وكتاب الشهادات ٢٣٧/٣ – ٢٣٨ – والترمذي: كتاب الفتن: ٤٧٠ .

أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(١٠٥).

تتضمن الآيات الأمر القاطع للمؤمنين بإجابة اللّه والرسول بالإصغاء والطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه ، لأن دعوة اللّه والرسول دعوة لما يحييكم حياة طيبة أبدية مشتملة على سعادة الدنيا والآخرة ، وفيها صلاحكم وخيركم ، وفيها كل حق وصواب ، وذلك شامل القرآن والإيمان والجهاد وكل أعمال البر والطاعة ، والأمر للوجوب ، ومن لم يمتثل أحكام القرآن فهو ميت لا حياة فيه ، كما قال اللّه تعالى: (أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها)(١٠٦) . والغارق في الضلال والكفر والجهل ميت مجازا وإن كان في الظاهر حيا .

إن دعوة القرآن دعوة إحياء بالعزة والغلبة والظفر، فسمي ذلك حياة ، والحياة العزيزة الكريمة في الدنيا بالتزام أحكام القرآن متصلة بحياة الآخرة . ثم حذر القرآن الكريم من التراخي في طاعة أوامر اللّه ورسوله ، فقال: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ أي بادروا إلى الاستجابة قبل ألا تتمكنوا منها بزوال العقل ، وقد أراد بالقلب العقل أي يحول بين المرء وعقله ، حتى لا يدري ما يصنع .وهذا دليل حسي واضح على أن قدرته وإحاطته وعلمه تتداخل بين المرء وقلبه ، وتحول بين الإنسان وفكره . والمصير في النهاية أن جميع الناس مجموعون إلى اللّه في الآخرة للحساب.

وبعد هذا التحذير حذر اللّه تعالى من الفتن فقال: وَاتَّقُوا فِتْنَةً أي احذروا الوقوع في الفتنة وهي الاختبار والمحنة التي يعم فيها البلاء المسيء وغيره ، ولا يخص بها أهل

---

١٠٥ سورة الانفال: الآية(٢٥) .

١٠٦ سورة الأنعام: الآية ١٢٢ .

المعاصي أو مرتكبي الذنوب ، بل يعمهم وغيرهم واللّه شديد العذاب لمن عصاه . قال ابن عباس رضي اللّه عنهما : نزلت هذه الآية في أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ، وقال: أمر اللّه المؤمنين ألا يقروا المنكر فيما بينهم ، فيعمهم اللّه بالعذاب([١٠٧]) .

والمراد بها عموم الناس قاطبة ، فالله يريد أن يحذر جميع المؤمنين من فتنة إن أصابت لم تخص الظلمة فقط ، بل تتجاوزهم وتصيب الكل من ظالم وبريء ، وهذا وعيد لكل من تأول آية أو حكما قرآنيا ، أو خالف هدي اللّه وشرعه .

وإذا تقاعست الأمة ولم تقم بواجب الدعوة إلى الله عز وجل ، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، فذاك دليل نهايتها وهوانها وذلها . كما في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ(١٠٨) وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ)(١٠٩) .

وعن عبد الله بن مسعود(١١٠) رضي الله تعالى عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهِ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ)(١١١)

---

[١٠٧] التفسير الوسيط ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، ط١(دار الفكر – دمشق) ١٤٢٢ هـ ، جج١ص٧٨٦ .

١٠٨العينة: ان يبيع الرجل شيئا من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه إليه، ثم يشتريه منه قبل قبض الثمن بثمن نقد اقل مما باعه به. انظر النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير ج٢، ص٢٢٤.

١٠٩. أخرجه أبو داؤود: كتاب البيوع: ٢٧٤/٣ – ٢٧٥ واخرج الحديث أيضا الامام احمد في مسنده: ٤٢/٢ .

١١٠. عبد الله بن مسعود بن حارث بن غافل أبو عبد الرحمن الهذلي المكي من كبار الصحابة اخذ القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات سنة ٣٦هـ – طبقات المفسرين، ص٧٢ .

١١١. انظر مفردات القرآن– الراغب الأصفهاني، ص٢٩٥، مصدر سابق .

، ثم تلا: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ على لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَي ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ تَرَي كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عليهمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إليه مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)(١١٢) ثم قال: (كلا والله لتأمرُنَّ بالمعروف ولتَنْهَوُنَّ عن المنكر ولتأخذُنَّ على يد الظالم ولتأطُرُنَّه على الحق ، ولَتقصرُنَّه عَلَى الْحَقِّ قصرا ، أو لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بقلوب بعضكم على بعض ولَيَلْعَنَنَّكُم كَمَا لَعَنَهُمْ)(١١٣) .

وفي رواية عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا رَأَى أَخَاهُ عَلَى الذَّنْبِ نَهَاهُ عَنْهُ تَعْزِيرًا ، فَإِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ يَمْنَعُهُ مَا رَأَى مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَخَلِيطَهُ وَشَرِيكَه) وَفِي حَدِيثِ هَارُونَ وَشَرِيبَهُ ، ثُمَّ اتَّفَقَا فِي الْمَتْنِ ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الْمُسِيءِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا ، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ).

عندما خلق الله سبحانه وتعالى البشرية وهيأ لهم هذا الكون الفسيح ، الذي جعل بقاءهم فيه مقرونا بالطعام والشراب ، ولكنهم يحتاجون إلى الشريعة اشد من حاجتهم للطعام والشراب ، كما قال ابن القيم الجوزية رحمه الله(١١٤):(وحاجة الناس إلى

---

١١٢. سورة المائدة: الآيات (٨٧–٨١).

١١٣. أخرجه أبو داؤود: كتاب الملاحم: ٢٢١/٤–٢٢٢ والترمذي: كتاب التفسير: ٢٥٢/٥ .

١١٤. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن القيم الجوزية مفسر محدث فقيه أصولي نحوي له مصنفات كثيرة منها التفسير القيم زاد المعاد أعلام الموقعين مات سنة ٧٥١ هـ معجم المؤلفين ج٥، ص١٠٧ .

الشريعة ضرورة فوق حاجتهم إلى كل شيء ، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها ، إلا ترى إن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة ، وإما أهل البوادي كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب ، وهم اصح أبدانا واقوي طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ولعل أعمارهم متقاربة ، وما يقدر عند عدم الشريعة من فساد الروح والقلب جملة ، وهلاك الأبد ، وشتان بين هذا أو هلاك البدن بالموت ، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسل عليهم السلام والقيام به ، والدعوة إليه ، والصبر عليه ، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه)(١١٥) .

بما إن الله عز وجل جعل هذه الأمة امة وسطا شهداء على الناس ، واطفاها على غيرها من الأمم ، وجعلها خير امة أخرجت للناس ، آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر ، وبهذا التكريم الإلهي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بمهمة البلاغ ، حتى ولو كان آية أو حديثا ، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر قال: قال صلى الله عليه وسلم : (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)(١١٦) .

قال ابن القيم: (فأمر صلى الله عليه وسلم اجر من بلغ عنه ، واجر من قبل ذلك البلاغ ، وكلما كثر التبليغ عنه ، تضاعف له الثواب ، فله بعدد كل مبلغ وكل مهتد بذلك البلاغ ، سوى ماله من اجر عمله المختص به ، فكل من هدى واهتدى بتبليغه

---

١١٥ مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق حمدي الدمرداش، ج٢، ص٢، ط١ (مكتبة نزار الباز)، بدون تاريخ.

١١٦ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٢٠٢)، ج٢، ص١٢٧٥ الإمام احمد في المسند برقم ٦٨٨٨، ج٢، ص٢٠٢.

فله الأجر ، لأنه هو الداعي إليه ، ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه صلى الله عليه وسلم لكفى به فضلا)(١١٧) .

واستطرد قائلاً: (وعلامة الصادق إن يسعى في حصول محبوب محبوبة ، ويبذل جهده وطاقته فيها ، ومعلوم انه لا شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إيصال الهدى إلى جميع الأمة ، فالمبلغ عنه ساع في حصول محبته ، فهو اقرب الناس منه وأحبهم إليه ، وهو نائبه وخليفته في أمته ، وكفى بهذا فضلا وشرفا)(١١٨).

الدعاة المخلصون والعلماء من هذه الأمة هم الذين اصطفاهم الله لكرامته حيث الاجور المتتابعة لهم من جراء هذا العمل الشاق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث: (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)(١١٩) ، قال صلى الله عليه وسلم:(مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)(١٢٠) ، وهذا دليل على عظم مكانة الدعوة وأهميتها وفضلها(١٢١) .

فعلى العلماء والدعاة التسابق لنيل هذا الأجر العظيم ، وان يكون همهم مرضاة الله أولا وأخرا ، وان يتبعوا المعين الذي لا ينضب ، ويرووا منه حتى لا ينالهم الظمأ

---

١١٧ انظر مفتاح دار السعادة، ج١، ص١٠٩، مصدر سابق .

١١٨ مفتاح دار السعادة ابن قيم الجوزية ج١، ص١٠٩ .

١١٩ أخرجه مسلم في كتاب الإمارة برقم (٣٥٠٩) .

١٢٠ أخرجه مسلم في كتاب العلم باب من سن سنة حسنة برقم (٤٨٣١)، ج٤، ص٢٠٦٠.

١٢١ انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة – الشيخ عبد العزيز بن باز – ص١٩ بدون رقم طبع (الدار السلفية السعودية)، بدون تاريخ.

من بعده ، وهو كتاب الله وسنة نبيه صـلى الله عليه وسلم فعلى كل عاقل إن يضع نفسه مع هذه الزمرة المباركة ، حتى يصبح مثالا يحتذي به ، لمن أراد لنفسه النجاة.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى أهل الدعوة أحسن الناس قولا وأفضلهم عملا ، قال تعالى:(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(١٢٢) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :(هذه الآية عامة في كل من دعا إلى الخير ، وهو في نفسه مهتد)(١٢٣) ، وقال الإمام الزمخشري(١٢٤): (الآية عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث ، إن يكون مؤمنا معتقدا لدين الإسلام ، وعاملا للخير وداعيا إليه ، وما هم إلا طبقة العلماء العاملين)(١٢٥) .

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز :((والمعنى لا أحد أحسن قولاً منه لكونه دعا إلى الله وأرشد إليه وعمل بما يدعو إليه ، يعني دعا إلى الحق وعمل به ، وأنكر الباطل وحذر منه وتركه ، ومع ذلك يصرح بما هو عليه لم يخجل به ، بل قال: (إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ، وهذه الآية الكريمة من أوضح الآيات في الدلالة على فضل الدعوة ، وأنها من أهم القربات وأفضل الطاعات))(١٢٦) .

قال الحسن البصري: (هذه الآية عامة في كل من دعا إلى الله)(١٢٧) .

---

١٢٢ سورة الصف الآية (٣٣).

١٢٣ تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج٤، ص١٠٨ .

١٢٤ هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ولد سنة ٤٦٤هـ كان اماما من ائمة المعتزلة وكان صاحب بيان وبلاغة ونحو وله شعر جيد له مصنفات منها الكشاف المفصل اساس البلاغة مات سنة ٥٣٨هـ سير أعلام النبلاء ج١٤، ص٥٤٦.

١٢٥ راجع الكشاف – محمود بن عمر الزمخشري – (دار الفكر بيروت)، بدون تاريخ ج٤، ص١٥٦.

١٢٦ فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين عليها لابن باز (ص١٩–٢٠).

١٢٧ انظر الجامع لأحكام القرآن ٣٦٠/١٥، دار إحياء التراث العربي – بيروت –، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص١٠٩.

إن من رحمة الله سبحانه وتعالى بالبشرية أنه كلما انحرفت البشرية عن دينها وعن جادة الطريق ، يرسل الله إليهم نبياً يجدد لهم أمر دينهم ويردهم إلى الجادة القوية: قال تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّمَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ)(١٢٨) ، وبعد انقطاع الوحي من السماء بموت النبي صلي الله عليه وسلم ، جعل الله هذه المهمة إلى أتباعه عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِيَ أَدْعُو إِلَىَ اللّهِ عَلَىَ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(١٢٩) ، يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين: الإنس والجن ، آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي. وقوله: (وَسُبْحَانَ اللَّهِ) أي وأنزه الله وأجله وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير أو عديل أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة أو وزير أو مشير ، تبارك وتقدس وتنزه وتعالى عن ذلك كله علواً كبيراً(١٣٠) .

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ

---

١٢٨ سورة المؤمنون : الآية(٤٤).

١٢٩ سورة يوسف :الآية (١٠٨).

١٣٠ تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، المحقق : محمود حسن ، دار الفكر، الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ج٢ ص٦٠٣ .

لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)[١٣١] ، وعلى هذا فإن هذه الأمة مسئولة عن هداية البشر هداية إعلام وإرشاد وإظهار للحجة ، ومستشهدة وموقوفة لتحاسب عن تبليغ الرسالة إلى البشرية.

إنه لمن المفيد النافع في هذا العصر الذي فترت فيه الهمم ومحقت فيه العزائم وأصيبت قلوب كثيرة باليأس أن ينطلق الداعية في دعوته من شعوره بمسؤولية الدعوة وأمانتها التي جعلها الله في عنقه لا من منطلق كسب الأتباع والحصول على النتائج ، بل عليه أن يفكر في مسؤولية الدعوة أولا قبل أن يفكر في قبول المدعو لدعوته.

إن كثيراً ممن يبدؤون الطريق بالتفكير في النتائج قبل التفكير بالمسؤولية والملقاة على عواتقهم ينتهون نهاية خاطئة ، فإن الناس إذا بدئوا بالتفكير في النتائج فلم يحصل لهم يقين بالنتيجة ولم يروا شيئاً واضحاً في الأفق يغريهم بالتقدم أحجموا عن السير في الطريق وعفوا أنفسهم من القيام بالدعوة ، ظناً أن معهم المبررات التي تسمح لهم القعود.

إن أمر القيام بالدعوة ليس كأمر القيام بالمشاريع والصفقات الدنيوية التي إن لم يظهر نجاحها تركها الإنسان دون حرج ، وإنما القيام بالدعوة مسؤولية لا يملك المسلم التنصل منها ، شأنه في ذلك شأن أنبياء الله الذين كلفوا بحمل الرسالة ، فإن منهم من يأتي يوم القيامة ومعه الرجلان ومنهم من يأتي ومعه الرجل الواحد ، ومنهم من يأتي وليس معه أحد، ولو أن الله تعالى أراد من الأنبياء والدعاة القيام بالدعوة لمجرد الحصول على النتيجة ما بعث مثل هؤلاء الأنبياء ولا كلفهم كل هذا العناء إذا كانوا سيأتون وليس معهم أحد وهو عليم بذلك جل وعلا ، ولكنه جل وعلا أراد منهم القيام بمسؤوليتهم ، وحسابهم إنما هو على إبلاغهم الدين لهذه البشرية وإقامتهم الحجة

١٣١سورة البقرة ١٤٣ .

عليها ، حتى لا يكون للضال حجة على الله ، وليظهر عدله تعالى وإعذاراً للخلق ، وهذا كاف لقيام الرسل وأتباعهم بمهمة الرسالة ، قال تعالى: (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً)(١٣٢) .

إن الواجب على الدعاة أن ينطلقوا اليوم في دعوتهم بهذا المفهوم ، لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة ، فإن الله يحب ذلك ويريده ، والمحب الصادق يسعى في تحقيق مراد محبوبه ، وسواء استجاب الناس وتغير المجتمع أم لم تحدث استجابة ، فإن مراد الله من عمل المرسلين والدعاة يتحقق بقطع حجة الخلق على الله حتى لا يكون لهم عذر في ضلالهم ، وإن هذا ليفتح باباً واسعاً أمام الداعية فلا يقلق ، وينطلق من خلاله في دعوته دون أن يصبه اليأس أو الوهن مهما ضعفت النتائج أو انعدمت ، نحسبه أن يسعى في تحقيق مراد الله من الإعذار إلى الخلق حتى لا يكون لهم حجة حين يحاسبهم فلو لم يكن إلا هذا الباب الذي يلج من خلاله الداعية ليقوم بدعوته لكفى ، فكيف وهناك أبواب كثيرة جداً في الدعوة! .

وإن القيام بالدعوة تطهر الداعي نفسه وتزكيه، وتجعل له قيمة ولحياته معنى هو المنتفع قبل غيره بقيامه بدعوته ورسالته.

إن في القرآن من النصوص ما يلقي ضوءاً ساطعاً على نوعية ومسؤولية الداعي ويحدد موقفه تحديداً واضحاً كما في قول المولى جل وعلا: (وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(١٣٣) .

---

١٣٢ سورة النساء: الآية ١٦٥ .

١٣٣ سورة الأعراف :الآية ١٦٤ .

ومما تقدم من آيات وأحاديث يتبين لنا فضل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وأهميتها ، فليتسابق المسلمون إلى هذا الفضل العظيم ، حتى يستقيم الناس على فطرة الله التي فطر الناس عليها.

الفصل الثاني : مفهوم الجهاد في الإسلام والجهاد المكي.

المبحث الأول : مفهوم الجهاد وبيان فضله.

المبحث الثاني: مفهوم الجهاد المكي.

المبحث الثالث: أنواع الجهاد المكي .

المبحث الأول : مفهوم الجهاد وبيان فضله .

أولا: تعريفه في اللغة:

قال ابن فارس رحمه الله :(جهد : الجيم والهاء والدال أصله المشقة ، ثم يحمل عليه ما يقاربه . يقال :جَهَدْتُ نفسي ، وأَجْهَدتُ ، والجُهد الطاّقة ، قال تعالى

:(وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ)(١٣٤)...ومما يقارب الباب الجَهَادُ ، وهي الأرض الصلبة)(١٣٥).

الجهاد: مصدر جاهد جهاد ومجاهدة ، قاتل العدو وجاهد في سبيل الله ، وهو من الجهد، أي: المشقة والطاقة. يقال: أجهد دابته إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها .والجهد بالضم الوسع والطاقة(١٣٦) .

بذل الجُهد . بالضم . وهو الوسع والطاقة . أو الجهد . بالفتح . وهو المبالغة في العمل . وبذل أقصى ما يستطيعه الإنسان من طاقة لنيل محبوب أو لدفع مكروه . وقيل : هما لغتان في الوسع والطاقة . فأما المشقة والغاية فالفتح لا غير(١٣٧) .

ففي الجهاد مشقة ، وتعب ومبالغة في بذل الوسع في قتال الكفار أو غيرهم ، فهو عام يشمل الأقوال والأفعال.

جاء في لسان العرب: (الجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب ، أو اللسان أو ما أطاق من شيء)(١٣٨) .

أن الجُّهْدَ بفتح الجيم وضمها الطاقة ، والجَهْدُ بالفتح المشقة ، يقال جَهَدَ الرجل في كذا أي جدَّ فيه وبالغ ، وجاهَدَ في سبيل الله مُجَاهَدَةً وجِهَادً والاجْتِهادُ والتَّجَاهُدُ بذل الوسع و المَجْهود(١٣٩). ولذا فيما روى أحمد والنسائي وصححه ابن حبان عن سَبْرَةَ

---

١٣٤ سورة التوبة ، الآية٧٩ .

١٣٥ معجم مقاييس اللغة: (٢٢٧) .

١٣٦ لسان العرب ، لابن منظور (١٣٤/٣) مادة (جهد) و(المحيط) في اللغة لابن عباد (٣٦٩/٣) و(المصباح المنير) للفيومي ص ١١٢ مادة (جهد) .

١٣٧ انظر : ابن منظور ـ لسان العرب ـ ١٣٣/٣ .

١٣٨ لسان العرب» (١٣٥/٣) مادة (جهد) .

١٣٩ مختار الصحاح: ١١٩/١.

بْنِ أَبِي فَاكِهٍ رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ قَعَدَ لَهُ . أي الشيطان . بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ لَهُ : هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ) .

ثانيا: عند الفقهاء:

لقد عرف الفقهاء الجهاد بعدة تعريفات ومنها :

١.**عرفه الشافعية بأنه:** بذل الجهد في قتال الكفار(١٤٠).

٢. **وعرفه المالكية بأنه:** قتال مسلم كافرا غير ذي عهد ، لإعلاء كلمة الله تعالى ، أو حضوره له ، أو دخوله أرضه(١٤١) .

٣. **وعرفه الحنفية بأنه:** بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس ، والمال ، واللسان ، أو غير ذلك ، أو المبالغة في ذلك(١٤٢) .أو بأنه : دعوة الكفار إلى الدين الحق وقتالهم إن لم يقبلوا(١٤٣) .

٤. **وعرفه الحنابلة بأنه** : قتال الكفار(١٤٤) ، الجهاد القتال وبذل الوسع فيه لإعلاء كلمة الله تعالى(١٤٥).

تعريف الجهاد في الشرع:

هناك بعض العبارات والمفردات مستقرة في ذهن المسلم بأبعاد إيمانية راسخة لكن غير المسلم أي الغربيين بوجه أخص لا يدركونها ، فالمسلم يؤمن بها ويري فيها هي

---

١٤٠ فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر (٣/٦) والمهذب للشيرازي مع تكملة المجموع (١٢١/٢١) و(شرح منتهى الإرادات) لمنصور البهوتي (٦١٧/١) والروض المربع للبهوتي ص (٢٩٥) .

١٤١ بلغة السالك» للصاوي (٣٥٤/١) ومعنى حضوره له أي: حضوره القتال، أو دخوله أرضه، أي: أرض الكفار.

١٤٢ بدائع الصنائع» للكاساني (٥٧/٦) .

١٤٣ اللباب في شرح الكتاب» لعبد الغني الميداني (/١١٤) و«تحفة الفقهاء» لعلاء الدين السمرقندي (٢٩٣/٣) .

١٤٤ انظر مطالب أولي النهي٤٩٧/٢ .

١٤٥ عمدة الفقه ص١٦٦ .

المنقذ من ما نحن فيه ، ولكن غير المسلم لا يستطيع أن يتفهمها مثلاً لفظ جهاد يعتبرها الغربي ما هي إلا حربا مقدسة(Holy war) .

ولقد تعددت تعريفات الجهاد في الشرع ومنها :

١. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الجهاد هو: بذل الوسع – وهو القدرة – في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق)(١٤٦) .

٢. يقول د. وهبة الزحيلي : (هو بذل الجهد والكفاح بالوسائل السلمية أولا ، ثم عند اقتضاء الأمر للمحافظة على الدعاة وتحصين البلاد يلجأ إلى القتال ؛ لتحقيق السعادة الشاملة للبشرية في دنياهم وأخراهم كما ارتضاها الإله الحكيم ، وكل جهد يبذل في هذا المضمار فهو في سبيل الله وحده ، ولإرضائه فقط)(١٤٧) .

وعليه أري أن التعريف السليم للجهاد :(هو قتال مسلم لكافر لا عهد له من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمدا رسول الله بين كل الأمم) .

فضل الجهاد والحكمة من مشروعيته:

هذا الجهاد أمر أوجبه الله على المسلمين ، لقد جاءت نصوص القرآن واضحة جلية بهذا الخصوص ، فمن ذلك قوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(١٤٨). لقد أخبر سبحانه وتعالى عن صفقة رابحة بينه وبين

---

١٤٦ ابن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم بمساعدة ابنه محمد ، مكتبة المعارف، الرباط المغرب ، (١٠ / ١٩١) .

١٤٧ آثار الحرب في الفقه الإسلامي: (٢٤) .

١٤٨سورة التوبة: الآية ١١١.

عباده المؤمنين ، وهو بيعهم أنفسهم وأموالهم لله ، واشتروا ما عند الله وهو الجنة ، وهي أعظم سلعة من أكرم بائع وهو الله تعالى وتقدس.

يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له. ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم. وقال شمر بن عطية: ما من مسلم إلا ولله عز وجل في عنقه بيعة، وفى بها أو مات عليها ثم تلا هذه الآية. ولهذا يقال من حمل في سبيل الله بايع الله أي قبل هذا العقد ووفى به. وقال محمد بن كعب القرظي وغيره، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ليلة العقبة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: "أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً. وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم" قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال "الجنة" قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت (إِنّ اللّهَ اشْتَرَىَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ) الآية، وقوله: (يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) أي سواء قتلوا أو قتلوا، أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة(١٤٩) .

وقوله تعالى: (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)(١٥٠) ، وقوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِياً وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ، الَذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ

---

١٤٩ تفسير القرآن العظيم ــ ا بن كثير ــ تحقيق محمود حسن (دار الفكر: لبنان) ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ــ ج٢ص٤٧٦ .

١٥٠ سورة النساء: الآية ٧٤ .

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً)(١٥١) ، وقوله تعالى: (قَاتِلُوا الَذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)(١٥٢) ، إن دلالة هذه الآيات صريحة بأمر قتال جميع قوى الكفر ممن يحاربون الإسلام ويمنعون عباد الله من الانضواء تحت شريعة الله ، ويقفون حائلاً بين الداعي والمدعو.

وأخرج مسلم في صحيحه حديثا فيه وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لقادة جيوشه وفيه:(...انطلقوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله ... وإذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم... فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن أجابوك ، فاقبل منهم ، وكف عنهم ، فإن أبوا ، فاستعن بالله وقاتلهم)([١٥٣]) .

وثبت في صحيح البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر ومجوس البحرين([١٥٤]) ، وفي قول المغيرة بن شعبة لقائد الفرس: (... فأمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده ، أو تؤدوا الجزية)([١٥٥]) ، وذكر ابن المنذر وابن القيم إجماع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس([١٥٦]) .

---

١٥١ سورة النساء: الآيتان(٧٥ ، ٧٦) .

١٥٢ سورة التوبة: الآية ٢٩

١٥٣ صحيح مسلم بشرح النووي ٣٧/١٢.

١٥٤ صحيح البخاري بشرح العسقلاني ٢٥٧/٦

١٥٥ نفس المصدر ٢٥٨/٦.

١٥٦ الإجماع لابن المنذر ص٥٩، أحكام أهل الذمة لابن القيم ١٨/١.

فهل بعد نص القرآن ونصوص الحديث وإجماع الفقهاء ، هل يبقى قول لقائل؟ وهل هذا الحكم هو من الشوائب التي يجب تنقية التراث الإسلامي منها كما يقول بعض المتوهمين المتفوهين التي يعتبرونها مدعاة للظلم بين البشر ، هل في هذه الأدلة من ظلم لطبقة دون طبقة فقد طبقها صلى الله عليه وسلم وصحابته وخيار الأمة .

عَنْ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :(مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الدَّائِمِ الَّذِي لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلاَ صَلاَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ)[١٥٧] زَادَ مُسْلِمٌ فِي أَوَّلِهِ (قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ قَالَ فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُول لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ).

وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :(تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ).

وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْت أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا فَأُقْتَلُ، فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ ثَلاَثًا أُشْهِدُ اللَّهَ تَعَالَى) .

وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلاَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ) .

157

وَعَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذَا طُعِنَتْ تَفَجَّرُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالْعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ) قَالَ قَالَ أَبِي يَعْنِي (الْعَرْفَ الرِّيحَ) .

وَعَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْت خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي ، وَلاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِي) .

أن مكانة الجهاد في شريعة الإسلام عالية المنزلة ، رفيعة الدرجة عند الله ، إذ بالجهاد تقوى النفوس ، وتشتد العزائم ، وبنتيجة الجهاد ترسخ مكانة الأمة الإسلامية ، وتقوى ركائز الإيمان ، وينتشر دين الله في الملأ. والجهاد وسيلة لإخافة الأعداء ، وتقوية الجانب الإسلامي ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضمن الأمور الخمسة التي أعطي إياها ، ولم تكن لأحد من الأنبياء قبله ، فقال :(نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي)(١٥٨) فقد خافت الروم في الشام وفارس في أرض السواد ، والأحباش في اليمن ، وكل منها يبعد شهرا في المسير عن المدينة ، من زحف جيوش الإسلام إليهم.

ومن هذه المكانة عده بعض الفقهاء ركنا سادسا من أركان الإسلام ، الذي لا يقوم الدين إلا عليها ، كالعمد التي يرتكز عليها البيت ، معللين ذلك بأن الجهاد يأتي بعد الأركان الخمسة في الترتيب ، وأهمية الحث والترغيب . فقد روى مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

١٥٨ صحيح البخاري التيمم (٣٢٨)،صحيح مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١)،سنن النسائي الغسل والتيمم (٤٣٢)،مسند أحمد بن حنبل (٣٠٤/٣)،سنن الدارمي الصلاة (١٣٨٩) .

(من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه ، مات على شعبة من النفاق)(١٥٩) ، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق .

ولقد جعل الله للمجاهدين في سبيل الله درجات ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)(١٦٠) .

إن الجهاد لا يعدله شيء ، عن أَبَي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ قَالَ: (لَا أَجِدُهُ) قَالَ: (هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ) قَالَ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ)(١٦١). ضيافة الشهداء عند ربهم : عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ وَيُزَوَّجُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ)(١٦٢). وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في وصف الحور العين: (...وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)(١٦٣).

---

١٥٩ صحيح مسلم الإمارة (١٩١٠)،سنن النسائي الجهاد (٣٠٩٧)،سنن أبو داود الجهاد (٢٥٠٢) .

١٦٠ رواه البخاري _ كتاب الجهاد والسير _ باب درجات المجاهدين في سبيل الله (٢٥٦١) .

١٦١ صحيح البخاري (٤/٦ ح ٢٧٨٥) كتاب الجهاد.

١٦٢ رواه الترمذي (١٦١/٧) فضائل الجهاد ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وابن ماجه (٢٧٩٩) واللفظ له ، وأحمد (١٣١/٤) ، وصححه الألباني.

١٦٣ البخاري (٢٧٩٦) باب الحور العين وصفتهن .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في المقصود من الجهاد:(الجهاد نوعان: جهاد طلب ، وجهاد دفاع ، والمقصود منهما جميعاً هو تبليغ دين الله ، ودعوة الناس إليه ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وإعلاء دين الله في أرضه ، وأن يكون الدين كله لله وحده..)(١٦٤).

وإدراك منزلة الجهاد تبرز من الحث عليه ، والترغيب فيه ، والطواعية في التنفيذ والعمل سواء في كتاب الله بالدعوة للقتال والحماسة في ذلك ، أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالاستجابة للنفير ، وعدم التولي عند الزحف ، والثبات في المعركة مهما تكاثر الأعداء. والإدراك العميق للدلالة الشرعية للجهاد ، مما يجعل القلوب تتعلق به ، والنفوس والأموال ترتبط به ، والمشورة تبذل رخيصة في ساحاته . ولذا عده الفقهاء رحمهم الله أفضل العبادات البدنية(١٦٥).

قال الإمام أحمد : (لا أعلم شيئا بعد الفرائض أفضل من الجهاد) . وقال غيره : (اتفق العلماء ، فيما نعلم ، على أنه ليس في التطوعات أفضل من الجهاد)(١٦٦) ويعضد هذا القول ما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها)(١٦٧).

والإسلام لم تبرز مهابته ولم يخافه أعداؤه ولم يكن للمسلمين شوكة إلا بعدما فرض الله الجهاد على أبنائه ؛ ليقسروا العرب عليه أولا بآية مدنية من سورة البقرة ،

---

١٦٤ مجموع فتاوى ابن باز (٧٠/١٨) .

١٦٥ مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، المؤلف : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ العدد(٣٢) ص١٤٩ .

١٦٦ حاشية الروض لابن قاسم ٤ : ٢٥٥.

١٦٧ رواه البخاري (١٣/٦) الجهاد ، ومسلم (٢٧/١٣) الإمارة .

حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجهاد بعدما نزلت هذه الآية : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)(١٦٨) ، فكانت كراهية الموت في القتال مرتبطة بالمكاره التي حفت بها الجنة.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة : هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الإسلام ، وقال الزهري : الجهاد واجب على كل أحد غزا ، أو قعد . . فالقاعد عليه إذا استعين أن يعين ، وإذا استغيث أن يغيث ، وإذا استنفر أن ينفر ، وإن لم يحتج إليه قعد ، قلت : – والكلام لابن كثير – ولهذا ثبت في الصحيح : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية)١٦٩ وقال عليه السلام يوم الفتح :(لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا)(١٧٠)...(١٧١) .

ومن دلالة النصوص رأى الفقهاء رحمهم الله :أن الجهاد فرض كفاية ، وفرض الكفاية: هو الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وإن تركوه جميعا أثموا ، ما لم يحضر العدو ، ويستنفرهم الإمام فإنه يتعين حينئذ على القادرين جميعا ، ليكون في حقهم فرض عين(١٧٢).

وفرض العين هو المتعين على كل واحد الاستجابة والامتثال بعينه ما دام قادرا. ولشدة المشركين على الدعوة ، وأذاهم لكل من دخل في دين الله في أول ظهور

---

١٦٨ سورة البقرة الآية ٢١٦ .

١٦٩ صحيح مسلم الإمارة (١٩١٠)،سنن النسائي الجهاد (٣٠٩٧)،سنن أبو داود الجهاد (٢٥٠٢) .

١٧٠ صحيح البخاري الحج (١٧٣٧)،صحيح مسلم الحج (١٣٥٣)،سنن الترمذي السير (١٥٩٠)،سنن ابن ماجه الجهاد (٢٧٧٣)،مسند أحمد بن حنبل (٢٢٦/١)،سنن الدارمي السير (٢٥١٢) .

١٧١ تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٢.

١٧٢ كشاف القناع ٣ : ٢٨.

الإسلام ، ولم يسلم من كيدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما بان في سيرته العطرة طوال فترة مكثه في مكة ، وهي ثلاثة عشر عاما قبل أن يهاجر، فقد كان الجهاد في هذه الفترة ينصب على مجاهدة النفس ، وحثها على الصبر في الأذى ، والتحمل في سبيل المعتقد ، حتى لا تقبل الدنية في دين الله ، ولا تتزحزح عن معتقد رضيت به ، وذاقت حلاوته الباطنية : وجدانيا في القلب ، وإحساسا بالأثر(١٧٣) .

فضل الجهاد في الكتاب والسنة والدعوة إليه:

والمتأمِّل في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يرى فيها دعوةً جليلة لبَذْلِ الأموال والأنفس للجهاد في سبيل الله تعالى فمن القرآن الكريم قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(١٧٤).وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ)(١٧٥) .وقوله تعالى: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)(١٧٦) .وقوله تعالى: (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ

---

١٧٣ مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، المؤلف : (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) ، مفهوم الجهاد في الإسلام بقلم د . محمد بن سعد الشويعر- العدد(٣٢) ص١٤٩.

١٧٤ سورة البقرة: الآية ٢١٦

١٧٥سورة آل عمران: الآيات (١٥٦ – ١٥٨) .

١٧٦ سورة آل عمران: الآيتان(١٦٩ – ١٧٠) .

فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[١٧٧] ومنها آياتٌ كثيرة جَعَلها الله تعالى في سورةٍ تَحُث على إحياء الجهاد في نفوس المؤمنين، والصبر والثبات في قتال الكافرين، ومن ذلك في سورة الأنفال قولُ الله تبارك وتعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)[١٧٨] إلى قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)[١٧٩] ، وهذه سورة التوبة سورة الجهاد والبَراءة من الكافرين والمنافقين تَحُثُّ أهلَ الإيمان على الجهاد ، وتُحذر من الإخلاد إلى زينة الحياة الدنيا ، كما في قول الله تبارك وتعالى في قتال المشركين: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[١٨٠] ، وقوله تبارك وتعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)[١٨١] ، وقوله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[١٨٢] . وقوله تعالى: (لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

١٧٧النساء: ٧٤.

١٧٨الأنفال: ٦٠

١٧٩الأنفال: ٦٥

١٨٠التوبة: ١٤ – ١٥

١٨١التوبة: ٢٩

١٨٢التوبة: ٤١

فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)([183]) ، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)([184]) .وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)([185]) ، وقوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)([186]) ، والقرآنُ فيه الكثير مِن مثْل هذه الآيات الجليلة ، والمتأمِّل لسورة البقَرة ، وآل عِمْران ، والأنفال، والتَّوْبة ، ومحمد، والأحزاب ، والفتْح ، والصَّف ، وغيرها – يرى مدى اهتمام القرآن بإحياء هذه الفريضة ، التي هي وسيلة كبيرة إلى تعبيد الناس لخالقِهم – سبحانه وتعالى.

أمَّا الأحاديث النبويَّة في الجهاد ، فهي كثيرةٌ ومُستفيضة في هذا الباب ، وإليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة في ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: (والذي نفسي بيده ، لولا أنَّ رجالاً من المؤمنين لا تطيبُ أنفسُهم بأنْ يتخلَّفوا عني ، ولا أجدُ ما أحملهم عليه ، ما تَخلَّفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده ، لوَدِدْت أنِّي أُقْتَل في سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أُقْتَل)؛ رواه البخاري ومسلم.

---

[183] التوبة: ٨٨ – ٨٩

[184] التوبة: ١١١

[185] الصف: ٤

[186] الفتح: ١٨

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال: (والذي نفسي بيده ، لا يُكْلَم أحدٌ في سبيل الله والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله إلاَّ جاء يومَ القيامة ، واللَّونُ لَوْنُ الدَّم ، والرِّيحُ ريح المسك) ؛ رواه البخاري ومسلم.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: (غاب عَمِّي أنس بن النضر عن قتالِ بدر، فقال: يا رسول الله ، غِبْتُ عن أولِ قتالٍ قاتلتَ المشركين ، لئن أشهدني الله قتالَ المشركين ؛ ليَرَيَنَّ الله ما أصنع ، فلَمَّا كان يومُ أُحُدٍ ، وانكشف المسلمون ، قال: اللهم إنِّي أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ؛ يعني: أصحابه ، وأَبْرَأُ إليك مِمَّا صنع هؤلاء ؛ يعني: المشركين ، ثُمَّ تقدَّم فاستقبله سعدُ بن معاذ ، فقال: يا سعدُ بنُ معاذ ، الجنَّةَ وربِّ النضر ، إنِّي أجد ريحها من دون أُحُد ، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صَنَع ، قال أنسٌ: فوجدنا به بضعًا وثَمانين ضربةً بالسيف أو طَعْنةً برمح أو رَمْيَةً بسهم ، ووجدناه قد قُتِلَ وقد مَثَّلَ به المشركون ، فما عرفه أَحَدٌ إلا أخته ببَنانه ؛ قال أنس: كنا نرى ، أو نظن أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، إلى آخر الآية" ؛ رواه البخاري.

وعن أم حارثة بن سراقة أنَّها أتت النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقالت: يا نَبِيَّ الله ، ألاَ تحدثني عن حارثة – وكان قُتِلَ يومَ بدر ، أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ – فإن كان في الجنة صبرتُ ، وإن كان غير ذلك ، اجتهدت عليه في البُكاء؟ قال: ((يا أُمَّ حارثة ، إنَّها جنان في الجنة ، وإنَّ ابنَك أصابَ الفِرْدَوْسَ الأعلى)) ؛ أخرجه البخاري.

وعن عبدالله بن أبي أوفى – رضي الله عنهما – أنَّ رَسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((واعلموا أنَّ الجنةَ تَحت ظلال السيوف)) ؛ أخرجه الشيخان وأبو داود.

وعن زيد بن خالد الجهني – رضي الله عنه – أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((مَن جَهَّزَ غازيًا في سبيل الله ، فقد غزا ، ومن خَلَفَ غازيًا في سبيل الله بِخَيْرٍ فقد غزا)) ؛ رواه البخاري ومسلم وأبو داود والتِّرمذي ، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((من احتبس فَرَسًا في سبيل الله ، إيمانًا بالله ، وتصديقًا بوعده ، فإنَّ شبعه ورِيَّه وروثه وبوله في ميزانه يومَ القيامة)) ؛ رواه البخاري.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قيل: يا رسول الله ، ما يَعْدِلُ الجهاد في سبيل الله؟ قال: ((لا تستطيعونه)) ، قال: فأعادوا عليه مرَّتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: ((لا تستطيعونه)) ، ثم قال: ((مَثَلُ المجاهد في سبيل الله ، كمَثَلِ الصائم القائم القانت بآياتِ الله ، لا يفتر من صيام ولا صلاة ، حتى يرجع المجاهد)) ؛ أخرجه الستة إلاَّ أبا داود.

وعن ابن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنهُما – قال: سَمِعْت رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول: ((عينان لا تَمسهما النار: عين بكت من خشية الله ، وعين باتتْ تَحْرُسُ في سبيل الله))؛ رواه التِّرمِذي.

وعن سهل بن حُنيف – رَضِيَ اللهُ عَنهُ – أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((مَن سأل الله – تعالى – الشهادة بصِدقٍ بلَّغه الله منازلَ الشُّهداء ، وإن مات على فراشه))؛ رواه الخمسة إلا البخاري.

وعن خريم بن فاتك قال: قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((مَن أنفق نفقة في سبيل الله – تعالى – كتبتْ له بسبعمائة ضعف)) ؛ رواه الترمذي وحسنه والنسائي.

وعن أبي هريرة – رضي اللهُ عنه – قال: مَرَّ رجلٌ من أصحاب رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بشعب فيه عُيَيْنَة من ماء عَذْبَة فأعجبته ، فقال: لو اعتزلتُ الناسَ ، فأقمت في هذا الشعب ، فذَكَر ذلك لرسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال: ((لا تفعل ، فإنَّ مُقامَ أحدِكم في سبيل الله أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عامًا ، ألاَ تُحبون أنْ يغفر الله لكم ، ويدخلكم الجنة؟ اغْزُوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فَوَاقَ ناقَةٍ ، وجبت له الجنة))؛ رواه الترمذي.

وعن المقدامِ بنِ معدِي كَرِبَ قال: قال رسول – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((للشَّهيد عندَ اللهِ ستُّ خصالٍ: يغفرُ لهُ في أوَّلِ دفعةٍ ، ويرى مقعده من الجنَّةِ ، ويُجارُ من عذابِ القبرِ ، ويأمنُ من الفزعِ الأكبرِ ، ويوضعُ على رأسهِ تاجُ الوقارِ ، الياقُوتةُ منها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها ، ويزوَّجُ اثنتينِ وسبعينَ زوجةً من الحورِ العينِ ، ويشفَّعُ في سبعينَ من أقربائهِ)) ؛ رواه الترمذي وابن ماجه، وعن أنسٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((مَن طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه))؛ رواه مسلم.

وعن جابر بن عبدالله – رضي الله تعالى عنه – يقول: "لما قتل عبدالله بن عمرو بن حرام يومَ أحد ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((يا جابر ، ألاَ أخبرك ما قال الله – عزَّ وجلَّ – لأبيك؟))، قلت: بلى، قال: ((ما كلم الله أحدًا إلاَّ من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحًا ، فقال: يا عبدي ، تَمَنَّ عليَّ أعطك ، قال: يا رب ، تُحيِيني فأقتل فيك ثانية ، قال: إنَّه سبق مني أنَّهم إليها لا يرجعون ، قال: يا رب ، فأَبْلِغْ مَن وَرائي)) ، فأنزل الله – عزَّ وجل – هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا... ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية كلها" ؛ رواه ابن ماجه.

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ))؛ رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: "انطلقَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأصحابُه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون ، فقال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ)) ، قال عُمَيْرُ بن الحُمَام: بَخٍ بَخٍ ، فقال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((ما يَحملك على قولك: بَخٍ بخ)) ، قال: لا والله يا رسول الله ، إلاَّ رجاءَ أن أكون من أهلها ، قال: ((فإنَّك من أهلها)) ، فأخرج تَمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنَّها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتل حتى قتل ؛ رواه مسلم.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنَّه قال: ((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ)) ؛ رواه مسلم وأبو داود.

المبحث الثاني: مفهوم الجهاد المكي .

مراحل تشريع الجهاد:

لقد اجمع علماء المسلمين ان الجهاد قد مر بثلاث مراحل مختلفة:

المرحلة الأولى : مرحلة الجهاد الدعوي : وهي مقتصرة على العصر المكي. فلم يكن في العصر المكي جهاد إلا جهاد الدعوة والبيان كما قال: (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)(١٨٧): أي بالقرآن. يقولُ العلامةُ ابنُ القيمِ رحمه الله: ((ولهذا كان الجهادُ نوعينِ : جهادُ باليدِ والسنانِ ، وهذا المشاركُ فيه كثيرٌ. والثاني

١٨٧ الفرقان: ٥٢

الجهادُ بالحجةِ والبيانِ ، وهذا جهادُ الخاصةِ من أتباعِ الرسلِ ، وهو جهادُ الأئمةِ ، وهو أفضلُ الجهادينِ لعظمِ منفعتِه وشدةِ مؤنتِهِ وكثرةِ أعدائِه ، وسورةِ الفرقانِ وهي مكيةٌ ، فهذا جهادٌ لهم بالقرآنِ ، وهو أكبرُ الجهادينِ ، وهو جهادُ المنافقينَ أيضًا ؛ فإنَّ المنافقينَ لم يكونوا يقاتلونَ المسلمينَ ، بل كانوا معهم في الظاهرِ ، وربما كانوا يقاتلونَ عدوَّهم معهم ، ومع هذا فقدْ قالَ تعالَى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)(١٨٨) ،ومعلومٌ أنَّ جهادَ المنافقينَ بالحجةِ والقرآنِ))(١٨٩)

الجهاد بالحجة والبيان والعلم مع الصبر والصفح علي ما يعتري الدعوة والصحابة من ابتلاءات إنه فقه المرحلة ، وذلك للمقاصد والأهداف التي يعلمها الله ولتثبيت العقيدة في القلوب التي مازالت في مرحلة البناء ..

المرحلة الثانية: هي مرحلة الأذن في القتال لدفع آذى المعتدين. قال تعالي: (أُذِنَ لِلذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً)١٩٠. وهي أول آية نزلت في القتال كما فأذن لهم بدون أمر، فكانت هذه تهيئة لهم، فالأمور الشاقة يشرعها الله شيئاً فشيئاً؛ من أجل التسهيل على النفوس..

---

١٨٨ سورة التوبة : ٧٣ .

١٨٩الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ، إعداد عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، ص١٤٠ .

١٩٠الحج ٣٩- ٤٠ .

المرحلة الثالثة: أُمر بقتال من قاتل ، والكف عمن لم يقاتل (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ)([١٩١]) وهذا يسمى قتال الدفع أو جهاد الدفع .

فقد اتفقت كل الشرائع والقوانين والعقول أن العدو إذا هجم علي بلدٍ وجب على أهله المقاومة والدفع ، وكل من سمى ذلك إرهاباً فهو مخطئ لأن إرهاب العدو طلبه الله سبحانه وتعالي ، وهو من باب القاعدة الفقهية (الاستعداد للحرب يمنع الحرب ويحقق السلام)، قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)([١٩٢]) ، والإرهاب المذموم إنما هو الاعتداء بدون وجه حق على الأنفس والممتلكات ، والإرهاب المحمود ما كان فيه الردع والزجر للكافرين عن التدخل العسكري في الديار الإسلامية ، فليعلم الجميع أن الإرهاب لم يعرف بتعريف واضح حتي الآن فالكل يفسره حسب هواه ومصالحه ، وإنما أصبح مطية تمتطيها القوى الدولية الكبري لتحقيق أغراضها وأطماعها ، في العالم الإسلامي فأصبح الإرهاب وسيلة خبيثة لمحاصرة المقاومة الجهادية وإنهائها..

المرحلة الرابعة :هي مرحلة قتال المشركين كافة . في هذه المرحلة اصبح القتال فيها فريضة إلهية كتبة على المسلمين. فكما (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)[١٩٣]. كذا أيضا . (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ)[١٩٤]. وهذه المرحلة ناسخة لما قبلها من المراحل ، لما قوي المسلمون ، وكانت لهم شوكة ، وللإسلام

---

١٩١ البقرة: ١٩٠

١٩٢ الأنفال : ٦٠ .

١٩٣ سورة البقرة: الآية١٨٣ .

١٩٤ سورة البقرة: الآية216 .

دولـة ، أُمـروا بالقتـال مطلقـاً (فَـإِذَا انسَـلَخَ الأَشْـهُرُ الْحُـرُمُ فَـاقْتُلُواْ الْمُشْـرِكِينَ حَيْـثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)([١٩٥]) ، (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)[١٩٦] .

فأمر الله بالقتال مطلقاً، فلما صاروا متهيئين ولهم قوة وعندهم استعداد ، فشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو ، غزوة بدر وأحد والخندق وهكذا ، حتى جاء الفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حصلت الردة فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه ، فلما فرغ منهم شرع في الجهاد للكفار ، فجيّش الجيوش لقتال فارس والروم ، وتوفي ، ثم جاء عمر رضي الله عنه فواصل الفتوح حتى أسقط دولة كسرى وقيصر ، ونشر الدين وصارت سيطرتهم على جميع الأرض مشارقها ومغاربها ، هذا هو القتال في الإسلام([١٩٧])

ومن ينظم القتال ويقوده؟ هو الإمام، فنحن نتبع الإمام، فإن أُمرنا بالغزو نغزو ، ولا نغزو بغير إذن الإمام ؛ فهذا لا يجوز ؛ لأنه من صلاحيات الإمام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)([١٩٨]) ، وهي الحالة التي استقر عندها حكم الجهاد ، ومات عليها نبي الإسلام صلي الله عليه وسلم .

---

١٩٥ التوبة: ٥

١٩٦ الأنفال: ٣٩

١٩٧ أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع ــ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ١٢٠٦هـ ــ دراسة وتحقيق: رتبها محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري ــ الناشر: دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة ــ ج١ص٣٢ .

١٩٨ التوبة: ٣٨

لم تكن مرحلة الجهاد الدعوي في مكة ناتجة عن مسالمة ورحمة الإسلام ، بل كانت ناتجة عن ضعف حالة المسلمين في بداية الدعوة في مكة ، لقد كان النبي مأموراً طيلة العصر المكي بالعفو والصفح وكف اليد عن المشركين ، كما قال في القران : (فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)([١٩٩]).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عُرْوَة بن الزبير: أن أسامة بن زيد أخبره ، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب ، كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى ، قال الله: (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأوَّل من العفو ما أمره الله به ، حتى أذن الله فيهم بقتل ، فقتل الله به من قتل من صناديد قريش)([٢٠٠]) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :(فكان النبي في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده ... وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه ، وعجز المسلمين عن ذلك ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أُذن له في الجهاد ، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ، ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار ، فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك العرب ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة)(٢٠١) .

---

١٩٩ سورة البقرة: ١٠٩

٢٠٠ تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٣/١) .

٢٠١ الجواب الصحيح لم بد دين المسيح لابن تيمية ٧٤/١.

وقال ابن كثير :(كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النُصب ، وكانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم ، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين ، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً لأسباب كثيرة ؛ منها قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم ، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء كما يقال ، فلهذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار ...)(٢٠٢) .

وقال أيضاً : ((وإنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق به لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً ، فلو أُمر المسلمون وهم أقل من العشر بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلجؤون إليه شرع الله جهاد الأعداء)(٢٠٣) .

وقال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية :(فنسخ الله جل ثناؤه العفو عنهم والصفح بفرض قتالهم حتى تكون كلمتهم وكلمة المؤمنين واحدة أو يؤدوا الجزية عن يد صغاراً) . ثم نقل الطبري القول بالنسخ عن ابن عباس وقتادة والربيع بن أنس([٢٠٤]) .

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية : (هذه الآية منسوخة بقوله : " قَاتِلُوا الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِاليَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)([٢٠٥]) عند ابن عباس وقيل : الناسخ لها: (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

---

٢٠٢ تفسير اقران العظيم لابن كثير ٥٢٦/١.

٢٠٣ المصدر السابق ٢٢٦/٣ .

٢٠٤ تفسير الطبري ٥٠٣/٢-٥٠٤.

٢٠٥ التوبة : ٢٩

وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)([٢٠٦]) ...)([٢٠٧]) ، وعن ابن عباس رضي الله عنه : (أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي بمكة فقالوا : يا رسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة فقال : إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا)([٢٠٨]) .

وقال الإمام الشوكاني :(أما غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام أو تسليم الجزية أو القتل فهو معلوم من الضرورة الدينية ... وما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين بما ورد من إيجاب المقاتلة لهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم والتمكن من حربهم وقصدهم إلى ديارهم)([٢٠٩]) .

وقال ابن القيم :(فلما استقر رسول الله بالمدينة وأيده الله بنصره وبعباده المؤمنين وألف بين قلوبهم ... رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب ، والله يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة واشتد الجناح فأذن لهم حينئذ في القتال ....)(٢١٠) .

ان محاولة بعض المسلمين تقسيم الجهاد إلى اصغر وهو الجهاد القتالي ، واكبر وهو جهاد النفس ، وبالتالي إظهار الدعوة اللسانية أهم أنواع الجهاد . هو افتراء وهراء واستخفاف بعقول الآخرين أما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة

---

٢٠٦ التوبة : ٥

٢٠٧ الجامع لأحكام القران ٧١/٢ .

٢٠٨ اخرجه النسائي ٦/٣ والحاكم ٣٠٧/٢ .

٢٠٩ السيل الجرار ٥١٨/٤-٥١٩.

٢١٠ زاد المعاد ٥٨/٢.

تبوك :(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي – صلى الله عليه وسلم – وأفعاله ، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان ، قال الله تعالى :(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)([٢١١]) ، وقال تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أعظم دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)([٢١٢]) .

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه – قال كنت عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال رجل ما أبالي ألا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر ما أبالي أن أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال علي ابن أبي طالب الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتماه، فقال عمر لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته. فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ – صلى الله عليه وسلم –:(أَيّ الأَعْمَالِ أَفضل إلى اللّهِ عز وجل؟ قَالَ:

٢١١النساء: ٩٥

٢١٢ التوبة: ١٩–٢٢

"الصّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا" قُلْتُ: ثُمّ أَيّ؟ قَالَ "ثُمّ بِرّ الْوَالِدَيْنِ" قُلْتُ: ثُمّ أَيّ؟ قَالَ " ثُمّ الّجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ" قَالَ: "حَدّثَنِي بِهِنّ رسول الله– صلى الله عليه وسلم – ، وَلَو اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي"..) .

ومن النصوص أيضاً: قول النبي صلي الله عليه وسلم : (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ...)(٢١٣) ، ومنها قول النبي : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)(٢١٤) ،وقد بين الحديث السابق درجات التغيير ، وأعلاها التغيير باليد الذي يشمل القتال ، ولا شك أن قوله : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ) يدل على أن كل مرتبة تحتاج إلى جهد ومشقة أكبر من التي تليها ، وإنما يكون الأجر على قدر المشقة ، فمن لم يكن قادراً عليه فإنه ينتقل إلى ما هو أدنى منه حتى ينتهي إلى أضعف الإيمان وهو التغيير بالقلب فدل ذلك على أن أقوى الإيمان التغيير باليد وأوسطه التغيير باللسان وأضعفه التغيير بالقلب.

٢١٣ اخرجه الترمذي ٢٦١٦ وابن ماجة ٣٩٧٣ واخرجه الحاكم ٧/٢.

٢١٤اخرجه مسلم ٤٩ . وابو داود ١١٤٠ . والترمذي ٢١٧٢ وابن ماجة ٤٣٤٠ والنسائي ٤٠١٣ و١٢٧٥. واحمد٣/٥٤ .

الفصل الثالث : مراحل الجهاد المكي

توطئة : النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة .

المبحث الأول : مرحلة الدعوة السرية (ثلاث سنوات) .

المبحث الثاني : مرحلة الدعوة الجهرية في أهل مكة إلي السنة العاشرة .

المبحث الثالث : مرحلة الدعوة خارج مكة وفشوها فيهم إلي الهجرة .

توطئة : النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة .

أولاَ: نسبه صلي الله عليه وسلم :

إن النبي صلي الله عليه وسلم أشرف الناس نسباً ، وأكملهم خَلْقَاً وخُلُقاَ ، وقد ورد في شرف نسبه أحاديث صحاح ، منها ما رواه مسلم : أن النبي صلي الله عليه وسلم قال :(إن الله سبحانه وتعالي اصطفي كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفي

قريشـاً مـن كنانـة ، واصـطفي مـن قـريش بنـي هاشـم ، واصـطفاني مـن بنـي هاشم)(٢١٥).

ومنها ما رواه البخاري في نسب النبي صلي الله عليه وسلم فقال: (محمد بن عبدالله ، بن عبدالمطلب ، بن هشام ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، ابن غالب ، بن فهرة ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن اليأس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان)(٢١٦) .

وفي نسبه صلي الله عليه وسلم إلي عدنان أقوال للعلماء ومنها :

١. قال ابن القيم الجوزية :(إلي هنا معلوم الصحة ، متفق عليه بين النسابين ، ولا خلاف البتة ، وما فوق عدنان مختلف فيه ، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام)(٢١٧) .

٢. قال الإمام الذهبي:(وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس ، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء)(٢١٨) .

٣. وعن عروة بن الزبير أنه قال :(ما وجدنا من يعرف وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصاً)(٢١٩) .

---

٢١٥ مسلم كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلي الله عليه وسلم (١٧٨٢/٤رقم ٢٢٧٦) .

٢١٦ البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مبعث النبي صلي الله عليه وسلم (٢٨٨/٤) .

٢١٧ زاد المعاد ، (٧١/١) .

٢١٨ السيرة النبوية للذهبي ص١ .

٢١٩ طبقات ابن سعد (٥٨/١) .

إنه صلي الله عليه وسلم طيب المعدن أصيل النسب من أصلاب طاهرة نقية ، وطيب المعدن والنسب الرفيع يرفع صاحبه عن سفاسف الأمور ، ويجعله يهتم بمعاليها وفضائلها ، والرسل والدعاة يحرصون علي تزكية أنسابهم ، وظهر أصلابهم ، ويعرفون عند الناس بذلك ، فيحمدونهم ويثقون بهم(٢٢٠) .

ومما تقدم يتبن لنا من نسبه الشريف دلالة واضحة علي أن الله سبحانه وتعالي ميز العرب علي سائر الناس ، وفضل قريشاً علي سائر القبائل الأخرى ، ومقتضي محبة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، محبة القوم الذين ظهر فيهم ، والقبيلة التي ولد فيها ، لا من حيث الأفراد والجنس ، بل من حيث الحقيقة المجردة ، ذلك لأن الحقيقة العربية القرشية ، قد شرف كل منها ـ ولاريب ـ بانتساب رسول الله صلي الله عليه وسلم إليها ، ولا ينافي ذلك ما يلحق من سوء بكل من قد انحرف من العرب أو القرشيين عن صراط الله تعالي ، وانحط عن مستوي الكرامة الإسلامية ، التي اختارها الله لعباده ، لأن هذا الانحراف أو الانحطاط ، من شأنه أن يؤدي بما كان من نسبة بينه وبين الرسول صلي الله عليه وسلم ويلغيها من الاعتبار(٢٢١) .

ميلاده صلي الله عليه وسلم :

في بقعة من بقاع الأرض التي تحيط بها الجبال الجرداء من كل جوانبها ، وفي أشهر مدن بلاد العرب بل بلاد الدنيا كلها ، تلك البقعة التي اشتهرت بأول بيت بني في الأرض لعبادة الله وحده ، يطوفون به الناس ويحجون إليه الناس من مشارق

٢٢٠ انظر : السيرة النبوية ـ لأبي فارس ص١٠٢ .

٢٢١ انظر: فقه السيرة للبوطي ص٤٥ .

الأرض ومغاربها ، وداخل هذا البلد الأمين الذي يمثل عزة العرب وملتقى اجتماعهم ، ودار هجرة أبو الأنبياء إبراهيم بزوجته هاجر وابنه إسماعيل.

ولد محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – يوم الاثنين الثاني من ربيع الأول عام الفيل حوالي(٥٧٠-٥٧١م) لأبوين عريقين في نسبهما ينتمي أحداهما ، وهو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب وتنتمي الأخرى وهي آمنة إلى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب حيث تلتقي مع نسب زوجها عبد الله(٢٢٢) .

وقد توفى أبوه ، وهو في بطن أمه ، خلال عودته من تجارة له من الشام ، ونظرا لما نعرفه من وجود الأوبئة في يثرب ، ولاسيما وباء الملاريا (حمى يثرب) فلا يستبعد إن يكون هذا المرض هو السبب في وفاة عبد الله في المدينة ودفن هناك(٢٢٣) .

وروي ابن سعد(٢٢٤) إن أم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قالت: لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام(٢٢٥) .

---

٢٢٢ تهذيب سيرة ابن هشام – عبد السلام هارون – ص ٢٠-٢١ (المؤسسة العربية الحديثة: القاهرة)، ١٩٦٤م ومروج الذهب ومعادن الجوهر – المسعودي – تحقيق اسعد وأغر، ج٢، ص٢، ص٢٦٥-٢٦٦ (دار الأندلس بيروت)، ١٩٦٥م، وانظر نسب الرسول وأجداده: البداية والنهاية لابن كثير – ج٢، ص ٢٥٢-٢٥٩ وعن تسمية محمد صلى الله عليه وسلم انظر بالتفصيل: تاريخ العرب في الإسلام: جواد علي، ج١، ص٧٥-٩٠ (مطبعة الزعيم بغداد) ١٩٦١م.

٢٢٣ تاريخ العرب في الإسلام – جواد علي، ج١، ص٩٥.

٢٢٤ هو محمد بن سعد بن منيع البصري مولى بني هاشم ولد سنة ١٦٨هـ بالبصرة كان احد الحفاظ المتبحرين في العلم له مصنفات منها الطبقات الكبرى الطبقات الصغرى أخبار النبي صلى الله عليه وسلم توفى سنة ٢٣٠هـ تاريخ بغداد ج٥، ص٣٢١.

٢٢٥ روى احمد والدرامي وغيرهما قريبا من ذلك، مسند احمد ١٢٨/٤، ١٢٧، ٢٦٢/٥. وسنن الدرامي ٩/١.

وقد ذكر إن إرهاصات بالبعثة وقعت عند الميلاد ، فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى ، وخمدت النار التي يعبدها المجوس وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد إن غاضت(٢٢٦) .

قال الشاعر احمد شوقي في مولده صلي الله عليه وسلم (٢٢٧) :

ولد الهدي فالكائنات ضياء*** وفم الزمان تبسم وثناء

الروح ، والملأ ،الملائك حوله*** للدين والدنيا به بشراء

والعرش يزهو ، والحظيرة تزدهي*** والمنتهي والسدرة العصماء

بك بشر الله السماء فزينت *** وتضوعت مسكتاً بك الغبراء

يوم يتيه علي الزمان صباحه*** ومساءه بمحمد وضاء

ذعرت عروش الظالمين فزلزلت*** وعلت علي تيجانهم أصداء

والنار خاوية الجوانب حولهم *** خمدت ذوائبها وغاض الماء

والآي تتري والخوارق جمة ***جبريل رواح بها غداء

وما رأت عينا محمد صلى الله عليه وسلم النور حتى أرسلت أمه إلى جده عبد المطلب (انه قد ولد لك غلام فآته وانظر إليه) ، فجاءه وحمله إلى الكعبة حيث راح يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، ثم أعاده إلى أمه ريثما يلقى مرضعة له ، ووقع

---

٢٢٦ دلائل النبوة للبيهقي ١٢٦/١، ١٢٧، تاريخ الطبري ١٦٦/٢، ١٦٧، والبداية والنهاية ٢٦٨/٢، ٢٦٩.

٢٢٧ انظر : ديوان أحمد شوقي (٣٥/١، ٣٤) .

اختياره على امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت أبي ذؤيب(٢٢٨) استصحبته معها إلى مضارب بني سعد التي كانت تعاني إذ ذلك سنة مجدبة قد جف فيها الضرع ويبس الزرع ، حيث ظل محمد صلى الله عليه وسلم يشب وينمو، يشرب من لبن مرضعته ، ويتنفس من هواء الصحراء الطلق ويزداد قوة وصحة وعافية ، ولم يبلغ السنتين من عمره ، حيث فطمته حليمة ، حتى حملته وزوجها إلى أمه في مكة ، وهما احرص ما يكونون على مكثه فيهم لما كانوا يرون من بركته ، فكلمت حليمة امة وقالت لها: (لو تركتي ابنك عندي حتى يغلظ فاني أخاف عليه وباء مكة) ولم تزل معها حتى أجابتها على مطلبها(٢٢٩) .

وهكذا ارجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني سعد ، حتى إذا كان بعده بأشهر على قول ابن اسحق(٢٣٠) ، وفي السنة الرابعة من مولده على قول المحققين(٢٣١) حدث شق صدره ، روى مسلم عن انس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل ، وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه ، فشق عنه قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال: هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لامه أي جمعه وضم بعضه إلى بعض – ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني ظئره(٢٣٢) فقالوا إن محمد

٢٢٨ تهذيب سيرة ابن هشام – عبد السلام هارون– مصدر سابق– ص٢٨.

٢٢٩ تهذيب سرة ابن هشام – مصدر سابق– ص٣٠–٣١

٢٣٠ السيرة النبوية ابن هشام ج١، ص١٦٤، ١٦٥.

٢٣١ مروج الذهب مصدر سابق– ج٢، ص٢٨١.

٢٣٢ الظئر: هي المرضعة، وربما يطلق على زوجها أيضا.

قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون – أي متغير اللون – قال أنس: كنت أرى اثر المخيط في صدره(٢٣٣) .

لقد ظن الأب إن الغلام قد أصيب وطلب من زوجه إن يعيده إلى أهله قبل إن يستفحل به ذلك ويظهر ، فحملته مرضعته وقدمت به إلى أمه فأعلمتها انه قد بلغ ، وأنها قضت الذي عليها ، فأخذته أمه حيث ظلت ترعاه في حماية وإشراف من جده عبد المطلب.

وقد تحدث الدكتور البوطي عن الحكمة في ذلك فقال: يبدو أن الحكمة في ذلك إعلان أمر الرسول صلي الله عليه وسلم وتهييؤه للعصمة والوحي ، منذ صغره بوسائل مادية ، ليكون ذلك أقرب لإيمان الناس به ، وتصديقهم برسالته ، إنها إذن عملية تطهير معنوي ، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي ، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم(٢٣٤).إن إخراج العلقة منه تطهير للرسول صلي الله عليه وسلم من حالات الصبا اللاهية العابثة ، المستهترة ، واتصافه بصفات الجد والحزم والاتزان ، وغيرها من صفات الرجولة الصادقة ، كما تدلنا علي عناية الله به ، وحفظه له ، وأنه ليس للشيطان عليه سبيل(٢٣٥) .

عندما بلغ السادس من عمره توفيت أمه بالابواء، وهي في طريق عودتها إلى مكة في أعقاب زيارة لأهلها من بني عدي بن النجار قصدت بها إن تزره إياهم ، فتولى أمره جده عبد المطلب الذي كان يقعده إلى جواره في مجلسه في ظل الكعبة

---

٢٣٣ صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء ج١، ص١٤٧، ح٢٦١.

٢٣٤ انظر : فقه السيرة ، للبوطي ص٤٧ .

٢٣٥ انظر : السيرة النبوية لأبي فارس ص١٠٦ ، ١٠٧ .

، ويقول لبنيه إذا ما أرادوا إبعاده عنه (دعوا ابني فو الله إن له لشأن) ثم يمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع(٢٣٦) .

وكان منبت محمد صلى الله عليه وسلم في أسره لها شأنها ، بعض ما اعد الله لرسالته من نجاح فالمجتمع العربي الأول كان يرقم على العصبيات القبلية الحارة، العصبية التي تعنى القبيلة كلها دفاعا عن كرامتها الخاصة وكرامة من يمت إليها(٢٣٧) .

وما إن تحول الرسول إلى كفالة جده عبد المطلب حتى وافته هو الآخر منيته فمات وقد تم للنبي صلى الله عليه وسلم ثماني سنوات(٢٣٨) ، ولما حضرته الوفاة أوصى به صلى الله عليه وسلم إلى عمه شقيق أبيه أبي طالب ، أي وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبد المطلب ، وحيث أوصى به جده لأبي طالب أحبه حبا شديدا لا يحبه لأحد من ولده فكان لا ينام إلا إلى جنبه وكان يخصه بأحسن الطعام . وتم اختيار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له قبل وفاته(٢٣٩) وذلك لان عبد الله والد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو طالب كانا لام واحدة(٢٤٠) .

ولم يكن أبو طالب بالرجل الموفور المال ، وكان يعيل عدد من الأبناء الأمر الذي اضطر محمد صلى الله عليه وسلم إن يعينه في كسب قوته حسب طاقته،

---

٢٣٦ تهذيب سيرة ابن هشام – مصدر سابق ص٣١–٣٣ السعودي. مروج الذهب – مصدر سابق، ج٢، ص٢٧٥ البلاذري. انساب الإشراف. مصدر سابق، ج١، ص٨١–٨٢، ٩٤–٩٥.

٢٣٧ فقه السيرة – محمد الغزالي، ط٦ (دار القلم. دمشق)، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ص٦٥.

٢٣٨ فقه السيرة النبوية د/محمد سعيد رمضان البوطي – ط١٠، (دار الفكر المعاصر بيروت لبنان)، ١٤١١هـ – ١٩٩١، ص٧٠.

٢٣٩ السيرة الحلبية – علي بن برهان الحلبي، ج١ (المكتبة الإسلامية. بيروت لبنان)، ص١١٣.

٢٤٠ تاريخ الأمم والملوك – محمد جرير الطبري تحقيق محمد أبي الفضل، ج١٢، ص٧٧ (دار المعارف، القاهرة)، ١٩٦١–١٩٦٢.

فكان يرعى له الأغنام ، وعندما قرر عمه الخروج في تجارة للشام وكان قد بلغ آنذاك التاسعة من عمره رجاه إن يصطحبه معه ، فرق له أبو طالب وقال: (والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا)(٢٤١) .

لدى وصول الموكب بصري ، وهي معدودة من الشام ، وقصبة لحو زان ، وكانت في ذلك الوقت قصبة للبلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان ، وهي ابعد مكان رآه الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وأقصى موقع زاره في بلاد الشام(٢٤٢) .

وكان في هذا الموقع راهب عرف ببحيري ، واسمه فيما يقال جرجس ، فلما نزل الركب خرج إليهم ، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك ، فجعل يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له (أبو طالب) أشياخ قريش (و) ما علمك (بذلك)؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا ، ولا يسجدان إلا لنبي ، واني اعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ، (وأنا نجده فيكتبنا) ، ثم أكرمهم بالضيافة ، وسأل أبا طالب إن يرده ، ولا يقدم به إلى الشام ، خوفا عليه من الروم واليهود ، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة(٢٤٣).

---

٢٤١ تهذيب سيرة ابن هشام، مصدر سابق، ص٣٣-٣٤، الطبري تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج٢، ص٢٧٧، البلاذري انساب الإشراف، مرجع سابق ج١، ص٩٦.

٢٤٢ تاريخ العرب في الإسلام، على جواد – ج١، ص١٠٦ .

٢٤٣ جامع الترمذي، ج٥، ص٥٥١، ٥٥٠ (٣٦٢٠) – وقد روى في القصة تفاصيل أخرى ابن هشام – ج١، ص١٨٣، مصدر سابق.

ونهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه ، وضمه إلى ولده وقدمه عليهم واختصه بفضل احترام وتقدير ، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه ، ويبسط عليه حمايته ، ويصادق ويخاصم من اجله .

ونتيجة لهذا الاحترام والتقدير الذي وجده النبي صلى الله عليه وسلم من عمه أبوطالب قام منذ صباه لمساعدة عمه الفقير كثير العيال يرعى الأغنام لأهله وأهل مكة كما قام بإعمال أخرى .

ولكن الرعي وهذه المساعدات لم تفده وقد بلغ هذا العمر ، ولهذا كان أبو طالب يفكر في رزق يسوقه الله إليه يكون فيه أمن وطمأنينة له وكان ذلك عن طريق البيع والشراء والتجارة على عادة اغلب أهل مكة لذلك العهد ، وقد تكسب محمد بالاشتغال بالبيع والشراء مستغلا بأعماله أحيانا مشتركا مع غيره أحيانا أخرى. وقد تاجر بشراء البز وبيعه يشتريه من السوق حباشة ، على طريق اليمن ، وعلى سوق مشهورة ببيع هذه البضاعة ، ويبيعه في مكة. وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمانة والصدق في المعاملة ولكنه لم يكسب من عمله في البيع والشراء مالا يذكر ولا ثروة تساعده وتساعد عمه أبو طالب في تمشية أموره. إذا عرض عليه عمه إن يسهم في تجارة خديجة علها تدر عليه ربحا (٢٤٤) .

وورد في بعض كتب السيرة(٢٤٥) إن محمدا قام لخديجة بسفرة أو سفرتين أو أربع سفرات إلى اليمن ، إلى سوق حباشة أو إلى درش ، وذلك قبل قيامه بسفرته إلى

---

٢٤٤ تاريخ العرب في الإسلام، مصدر سابق، ص١٠٩-١١٠

٢٤٥ (إمتاع الإسماع – السيرة الحلبية، الروض والأنف، عيون الأسد...)

بصري . وان خديجة دفعت له بعير عن كل سفره قام بها إلى اليمن وأربع بكرات عن سفرته إلى بلاد الشام(٢٤٦) .

لم ينقطع محمد صلى الله عليه وسلم عن قومه في أعمالهم الجماعية السياسية والعسكرية والدينية ، إذا كانت تتعلق بالتعاون على خير يقومون به ، فإذا كانوا على أمر جامع ذهب إليه ، وشارك فيه ما وسعته المشاركة(٢٤٧) رافضا من جهة أخرى كل تصوراتها الخاطئة ومعتقداتها الوثنية وأخلاقياتها المتهافتة الساقطة. اشترك وهو في العشرين من عمره ، في حرب الفجار التي سمتي كذلك لوقوعها في الأشهر الحرم ، والتي نشبت بين كنانة وقريش من جهة وبين قيس وعيلان من جهة أخرى ، وكان قائد قريش وكنانة فيها حرب ابن أمية الذي تمكن وسط النهار إن يتجاوز الهزيمة التي مني فيها أول الأمر وان يحقق الأمر على قيس وكان محمد صلى الله عليه وسلم آنئذ ينبل لأعمامه ويرد عنهم نبال عدوهم(٢٤٨) .

واشترك في حلف الفضول الذي تم عقده في أعقاب حرب الفجار التي يبدو أنها كانت الدافع الأساسي الذي استفز زعماء قريش لعقد هذا الحلف الذي يصفه ابن سعد بأنه (اشرف حلف كان قط) وكان أول من دعى إليه الزبير بن عبد المطلب ، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم وغيرها من عشائر قريش في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما فتعاقدوا وتعاهدوا بالله (لنكنن مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه) كما تعاهدوا على التأسي في المعاش) وسموا ذلك الحلف (حلف الفضول) ، وقد قال عنه صلى الله عليه وسلم بعد نبوته وهو يسترجع ذكرياته: (وما أحب إن

---

٢٤٦ تاريخ العرب في الإسلام، مصدر سابق، ص١١٢

٢٤٧ انظر: خاتم النبيين – محمد أبو زهرة ج١، ط (دار التراث – بيروت لبنان)، ص١٩٠

٢٤٨ تهذيب – سيرة بن هشام – مصدر سابق، ص٦٣ المسعودي – مروج الذهب، ج٢، مصدر سابق– ص٢٦٨.

لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم – ولو دعيت به في الإسلام لأجبت)(٢٤٩) .

وقالوا: إن سببه إن رجلا من زبيدة قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاص بن وائل ، فحبس عنه حقه ، فأستعدى عليه بني عبد الدار ، ومخزوماً وجمحا ، وغيرهم ، فلما رأى الرجل أن حقه ضاع ، وبدا القعود فمن استعان بهم علا جبل أبي قعيس عند طلوع الشمس ، وقريش وفي أنديتهم حول الكعبة فنادى بأعلى صوته منشداً قريشاً يثير فيهم الحمية بذكر الظلم الواقع عليه ، وأنهت واقع ببطن أرض الله ، وبجوار البيت المقدس الذي لا تخطف فيه الأموال وتضيع الحقوق(٢٥٠).

ويظهر من دراسة الأصول القديمة لروايات حلف الفضول إن الحاجة إلى الأمن والاستقرار بعد حرب الفجار هي التي دفعت قبائل قريش إلى الاجتماع في دار عبد الله بن جدعان للتفاوض في أمر إحلال الأمن والسلام في مكة لأن حياة مكة تقوم على الوافدين إليها من الحجاج والتجار وأن الذي دعا إلى ذلك نفر من قريش وأن الذي تزعم الدعوة وتبناها وجمع بين الرؤساء هو عبد الله بن جدعان أحد أثرياء مكة (٢٥١) .

عندما عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى خديجة بأرباح مضاعفة ، فأدى لها ما عليه من أمانة تامة ونبل عظيم ، ووجد مسيرة من خصائص النبي صلى الله عليه

---

٢٤٩ مروج الذهب – ج٢– ص٢٧٠–٢٧١ – الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ج٢– ص٤١–٤٢، ط(دار صادر: بيروت)، ١٩٦٧م. البداية والنهاية ابن كثير – ج٢– ص٢٩٣٠٢٩٣ (مطبعة السعادة – القاهرة)، ١٩٣٢م.

٢٥٠ خاتم النبيين ، ج ١ ، ص : ١٠٩.

٢٥١ تاريخ العرب في الإسلام ـ مصدر سابق ، ص ١٠٩.

وسلم وعظيم أخلاقه وما ملأ قلبه ، دهشته له ، وإعجاباً به فروى ذلك لخديجة ، فأعجبت خديجة بعظام أمانته ، ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه ، فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها (نفيسة بنت منية) ، فوافق النبي عليه الصلاة والسلام وكلم في ذلك أعمامه فخطبوها له من عمها عمرو بن أسد ، وتزوجها عليه الصلاة والسلام وقد تم له من العمر خمسة وعشرون عاماً ولها من العمر أربعون(٢٥٢) .

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على خطبتها لو يقدر على ذلك(٢٥٣) .

كان من ثمار هذا الزواج المبارك أبناء رسول الله كلهم إلا إبراهيم ، وهم : القاسم ، وكان صلى الله عليه وسلم يكنى به ، وعبد الله (الذي يلقب بالطاهر والطيب) ، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وقد توفي القاسم وعبد الله قبل مبعثه ، وأما بناتهن فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن إلى المدينة (٢٥٤) .

وفي الخامسة والثلاثين من عمره مارس صلى الله عليه وسلم مهمة التحكيم في مسألة وضع الحجر الأسود فكانت قريش قد أجمعت أمرها على إعادة بناء الكعبة بعد ما أصابها من السيول المنحدرة من المرتفعات المجاورة ، وبعد محاولة لسرقة

---

٢٥٢ فقه السيرة الغزالي ـ مصدر سابق ـ ص ٨٠.

٢٥٣ تهذيب سيرة ابن هشام – مصدر سابق – ص ٣٧ – ٣٨

٢٥٤ تهذيب سيرة ابن هشام ـ مصدر سابق ـ ص ٣٨. الطبري ـ تاريخ الرسول والملوك ، مصدر سابق ـ ج١ ـ ص ٢٨٠–٢٨٢. الكامل في التاريخ ـ مصدر سابق ، ج ٢ ـ ص ٣٩–٤٠. البداية والنهاية ـ مصدر سابق ـ ج٢ ـ ص ٢٩٣–٢٩٥.

محتوياتها من قبل نفر من قريش ، وكانت الكعبة منضودة من حجارة بعضها فوق بعض من غير ملاط (٢٥٥) .

وقد أشترك سادة قريش ورجالاتها الكبار في أعمال التجديد ونقل الأحجار بعد ما هدموا الأنقاض الواهية وشرعوا يعيدونها كما كانت([٢٥٦]) .

وبناء رفع إبراهيم وإسماعيل من قواعده قبل قرون سحيقة لا يوكل أمره لصغار الفعلة ، فلا غرو إذا أقبل عليه الشيوخ وأهل النهى والصدارة ، ومن بينهم محمد صلى الله عليه وسلم وأعمامه(٢٥٧) .

وتنافست القبائل في هذا المضمار ، كل يبغي الصدارة فيه والذهاب بفخره ، حتى كاد هذا السياق يتحول إلى حرب ضروس .

في أرض الحرم ، وأستفحل الشر بين المشغلين بالبناء عندما بدأوا يستعدون لوضع حجر الأساس في مكانه من أركان الكعبة ، ولو لا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي أقترح على المتطاحنين أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل من باب الصفاء ، وشاء الله أن يكون ذلك محمداً ، فلما رأوه هتفوا : هذا الأمين ، ارتضيناه حكماً .

وطلب محمد صلى الله عليه وسلم ثوباً فوضع الحجر وسطه ، ثم نادى رؤساء القبائل المتنازعين ، فأمسكوا جميعاً بأطراف الثوب حتى أوصلوا الحجر إلى الكعبة ، فحمل محمد صلوات الله وسلامه عليه ثم وضعه في مكانه العتيق(٢٥٨) .

---

٢٥٥ تاريخ الرسل والملوك ـ مصدر سابق ج ٢ ـ صم ٢٨٣.

[٢٥٦] فقه السيرة محمد الغزالي . مصدر سابق . ص ٧٩

٢٥٧ فقه السيرة محمد الغزالي ـ مصدر سابق ـ ص ٧٩

وهذا حل حصيف رضى به القوم ، ومن قبل كانت رؤيتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم مثار تيمنهم واطمئنانهم ، وهذا يدل على سناء المنزلة التي بلغها فيهم.

٢٥٨ حديث حسن أخرجه الإمام أحمد ج ٣ ص : ٤٢٥.

المبحث الأول : مرحلة الدعوة السرية (ثلاث سنوات) .

هي المرحلة الأولى من جهاد الدعوة إلي الله ولقد استمرت ثلاث سنوات من الدعوة السرية ، ولقد عشق النبي صلى الله عليه وسلم فيها التأمل بعيداً عن الناس ، وبما أنه تربى في البادية وأجبه انبساط الرمل ، وعلو التلال ، وتجويف الكهوف ، كذلك يتفكر في حلاوة الصبح الطري ، والمساء اللطيف ، وينظر إلى العشب كيف ينمو ويجف وإلى علاقة البادية بالشجر .

وقد كان من عادة العرب إزاء ذلك أن ينقطع مفكروهم للعبادة زمناً في كل عام يقضونه بعيداً عن الناس في خلوة ، يتقربون إلى آلهتهم بالزهد والدعاء ، ويتوجهون إليهم بقلوبهم يلتمسون عندها الخير والحكمة ، وكانوا يسمون هذا الانقطاع للعبادة التحنف والتحنث ، وقد وجد محمد . صلى الله عليه وسلم فيه الخير مما يمكنه من الإمعان فيما شغلت به نفسه من تفكير وتأمل ، كما وجد فيه طمأنينة نفسه وشفاء شغفه بالوحدة ، يلتمس أثناءها الوسيلة إلى ما لم يبرح شوقه يشتد إليه من المعرفة واستلهام ما في الكون من أسبابها(٢٥٩) .

كل ذلك وأكثر من كان يخطر في باله ، لذلك فقد أكتشف كهفاً غير بعيد عن مكة غار حراء ، يصلح للتأمل .

كان يذهب إليه طول شهر رمضان من كل عام ، يقيم فيه ، مكتفياً بالقليل من الزاد يحمل إليه ، ممعناً في التأمل بالعبادة ، بعيداً عن ضجة الناس وضوضاء

---

٢٥٩ حياة محمد ـ محمد حسنين هيكل ـ ط ١٥ (مكتبة النهضة المصرية : القاهرة) ١٩٦٨م . ص ١٤٥.

الحيـاة ، ملتمسـاً الحـق ، والحـق وحـده ، ولقـد كـان يشـتد بـه التأمـل ابتغـاء الحقيقة(٢٦٠).

وأثنـاء هـذا الانقطـاع الـذي سـيطر عليـه التأمـل فـي ملكـوت السـموات والأرض واخـتلاف الليـل والنهـار ، أول مـا بـدأ بـه رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم الرؤيـا الصادقة في النوم ، وأن الله يهيئه إلى البعث والرسالة .

ذات يوم شعر محمد صلى الله عليه وسلم كأن جدران الكهف تهتز ، وأن جسمه يرتعش كمن أصيب بالبرد ، وفي الوقت نفسه أخذ جسده يتصبب عرقاً ، وأصوات غريبة عجيبة تترامى إلى سمعه ، فأخذ يتلفت يمنة ويسرة فلا يجد أحداً ، ثم وقف في باب الغار وأخذ يحدق في البعيد ، فلم يقع بصره على أحد ، فحار ، وقلق ، ثم ارتمى على الغار وغاب في غفوة .

عادت الأصوات من جديد ، وقد أحس هذه المرة بفرح لسماعها ، وما هي إلا لحظات رأى شخصاً واقفاً إلى جانبه ، كأن شبح أو طيف خيال ، وهو معلـق بهالة نورانية ، ويلبس ثياباً بيضاء ، كأنها غيم الصيف ، وله وجه جميل يشع ويضيء ، وهنا حاول محمد . صلى الله عليه وسلم . أن يسأله من أنت ؟

عن عائشة: أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم . الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء

---

٢٦٠ حياة محمد ـ محمد حسنين هيكل ـ ص ١٤٦ ـ مصدر سابق .

فجاءه الملك فقال له : أقرأ ، فقال : ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال ، قال تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(٢٦١) فرجع يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زملوني(٢٦٢) ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نواب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وكان بن عم خديجة ، وكان أمرا قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة: يا أبن عمي ، أسمع من أبن أخيك ، فقال له ورقة: يا أبن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس (أي جبريل أو الوحي) الذي نزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً (شاباً قوياً) ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي(٢٦٣) .

---

٢٦١ سورة العلق الآيات (١-٥).

٢٦٢ زملوني أي لفوني في الثياب فكان يحس من الوحي برداً أنظر الغريب لإبن سلام ج ٢ ص ٧٢.

٢٦٣ أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي برقم ٤ ج١ ص ٣.

وأختلف في الزمن الذي فتر فيه الوحي فقيل: ثلاث سنوات ، وقيل أقل من ذلك ، والراجح ما رواه البيهقي (٢٦٤) من أن المدة كانت ستة أشهر(٢٦٥) .

وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله . وهو يحدث عن فترة الوحي . فقال في حديثه : (بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملوني ، زملوني ، فأنزل الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر ، قُمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّر ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُر ، وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)(٢٦٦) فحمي الوحي وتواتر)(٢٦٧) .

كانت هذه الأوامر القاطعة إيذاناً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يدعو الناس إلى دين الله تعالى ([٢٦٨]) وبأن الماضي قد انتهي بمنامه وهدوئه ، وأنه أمامه عمل عظيم ، يستدعي اليقظة والتشمير ، الإنذار والإعذار ، فليحمل الرسالة ، وليوجه الناس ، وليأنس بالوحي ، وليقوَ علي عنائه فإنه مصدر رسالته ومدد دعوته([٢٦٩]) .

فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة سراً بين أقاربه ، وأصدقائه ومن له به صلة .

---

٢٦٤ هو الحافظ العلامة ، الفقيه ، شيخ الإسلام ، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسر وجردي ، الخراساني ، ولد سنة ٣٨٤هـ ، سمع من أبي عبد الله الحاكم وأبي بكر بن فورك ومحمد بن الحسن العلوي وآخرين وهو فقيه شافعي وحافظ كبير له مصنفات منها السنن الكبرى الأسماء والصفات البعث والنشور ، توفي سنة ٤٥٨ هـ ، سير أعلام النبلاء ج ١٢–٢٥٢.

٢٦٥ دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ١٥٥.

٢٦٦ المدثر الآيات : (١–٥).

٢٦٧ البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي برقم ٥ ١ ص ٦.

٢٦٨ السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ج ١ ص ١٣٤ دكتور علي محمد الصلابي ، مصدر سابق .

٢٦٩ انظر فقه السيرة للغزالي ص٩٠ .

ويقصد بالدعوة السرية المرحلة التي أعقبت نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)([٢٧٠]) ، والتي استمرت إلى نزول قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)([٢٧١]) .

ويكاد يتفق رواة السير على أن مدتها كانت ثلاث سنين ، ولم يتوقف كُتَّاب السيرة أمام هذه المدة طويلاً ، فابن هشام على سبيل المثال يقول نقلاً عن ابن إسحاق:(ثم إن الله عز وجل أمر رسوله أن يصدع بما جاء منه ، وأن ينادي الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ، وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه) ، وهي المرحلة الأولى من جهاد الدعوة إلي الله

آمنت به زوجه خديجة رضي الله عنها وهي أول من آمن بدعوة النبي صلي الله عليه وسلم من النساء ومن البشر قاطبة ، وهي أول من استمع للوحي الإلهي علي لسان النبي صلي الله عليه وسلم مباشرةً ، وأول من تلته بعد سماعها له من فمه صلي الله عليه وسلم ، وأول من تعلمت الصلاة وصلت بعد النبي صلي الله عليه وسلم ، ولاننسي بيتها وهو أول مكان شهد تلاوة أول وحي بعد غار حراء رضي الله عنها وارضاها ولاشك الجنة مثواها .

كان أول شيء فرضه الله من الشرائع بعد الإقرار بالتوحيد إقامة الصلاة ، وقد جاء في الأخبار حديث تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم زوجه خديجة الوضوء والصلاة ، حين افترضت على رسول الله ؛ أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له

---

[٢٧٠] سورة المدثر: الآية ١

[٢٧١] سورة الحجر: الآية٩٤ .

بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبريل عليه السلام ، والرسول ينظر ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام جبريل عليه السلام فصلى به وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله خديجة فتوضأ لها ، يريها كيف الطهور للصلاة ، كما أراه جبريل عليه السلام ، فتوضأت كما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل عليه السلام([٢٧٢]).

وآمن مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه(٢٧٣) الذي يعتبر أول من آمن من الموالي ، حِبّ النبي صلى الله عليه وسلم ومولاه ، ومُتَبنَّاه : زيد بن حارثة الكلبي، الذي آثر رسولَ الله على والده وأهله ، عندما جاءوا إلى مكة لشرائه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترك رسول الله الأمر لحارثة فقال زيد لرسول الله : ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا ، وأنت مني بمنزلة الأب والعم ، فقال له والده وعمه : ويحك تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم ، وإني رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا([٢٧٤])..

وكذلك سارع إلى الإسلام بنات النبي صلى الله عليه وسلم، كل من زينب ، وأم كلثوم ، وفاطمة ورقية ، فقد تأثرن قبل البعثة بوالدهن صلى الله عليه وسلم في الاستقامة وحسن السيرة ، والتنزه عما كان يفعله أهل الجاهلية ، من عبادة الأصنام

---

٢٧٢ انظر: ابن هشام (٢٤٤/١)، من معين السيرة صالح الشامي ص٤١.

٢٧٣ عن أبي أسحق قال كان جبلة بن حارثة في الحي فقالوا له أنت أكبر أم زيد قال زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله وسأخبركم إن أمنا كانت من طيء فماتت في حجر جدنا فقال عماي لجدنا نحن أحق بابني أخينا فقال خذا جبله ودعا زيدا فأخذاني فانطلقا بي فجاءت خيل من تهامة فأخذت زيدا فوقع إلى خديجة فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعم أبي فزارة قال أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة غلاماً ذا ذؤابة قد أوقفه قومه بالبطحاء للبيع فأتى خديجة فقالت كم ثمنه قال سبع مائة قالت خذ سبع مائة فاشتراه وجاء به إليها فقال أما إنه لو كان لي لأعتقته قالت فهو لك فأعتقه) سير أعلام النبلاء ، ج ١ ص ٣٣٣.

[٢٧٤] انظر: دراسة تحليلية لشخصية الرسول د. محمد قلعجي ص١٩١.

والوقوع في الآثام ، وقد تأثرن بوالدتهن ، فأسرعن إلى الإيمان[٢٧٥] ، وأمن ابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان صبياً في حجر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبذلك أصبح بيت النبي صلى الله عليه وسلم أول أسرة مؤمنة بالله تعالى منقادة لشرعه في الإسلام ، ولهذا البيت النبوي الأول مكانة عظمى في تاريخ الدعوة الإسلامية .

وهو أول بيت تعهد بالنصرة ، ولم يتقاعس فيه فرد من أفراده كبارا أو صغارا عن مساندة الدعوة[٢٧٦] ، ويحق لهذا البيت أن يكون قدوة ، ويحق لربته أن تكون مثالاً ونموذجًا حيًّا لبيوت المسلمين ولنسائهم ورجال المؤمنين كافة ، فالزوجة فيه طاهرة مؤمنة، مخلصة ، وزيرة الصدق والأمان ، وابن العم المحضون والمكفول ، مستجيب ومعضد ورفيق ، والمتبنى مؤمن صادق مساعد ومعين ، والبنات مصدقات مستجيبات مؤمنات ممتثلات[٢٧٧] .

وهكذا كان للبيت النبوي مكانته الأولى ، والواجب يدعو إلى أن يكون قدوتنا والأنموذج الذي نسير على هديه في المعاشرة ، ومثالية السلوك بالصدق والتصديق ، في الاستجابة والعمل لكل من آمن بالله ربًّا وبمحمد نبيًّا ورسولاً[٢٧٨].

وآمن صديقه أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، وهو أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من الرجال الأحرار ، والأشراف ، فهو من أخص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة، وتردد ونظر، إلا أبا بكر، ما عكم[٢٧٩] حين دعوته ولا تردد فيه)[٢٨٠] ، فأبو بكر صاحب رسول الله صلى الله

---

[٢٧٥] انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢٨٤/١) .

[٢٧٦] انظر: المرأة في العهد النبوي د. عصمة الدين ص٤٣. (٢) نفس المصدر ص٤٥.

[٢٧٧] المصدر نفسه . ص٤٦.

[٢٧٨] انظر: دولة الرسول من التكوين حتى التمكين، كامل سلامة ص٢٠٨.

[٢٧٩] ما تلبث بل سارع .

عليه وسلم، وهو حسنة من حسناته عليه الصلاة والسلام، لم يكن إسلامه إسلام رجل، بل كان إسلامه إسلام أمة، فهو في قريش كما ذكر ابن إسحاق في موقع العين منها: (كان رجلا مألفًا لقومه محببًا سهلاً. وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر.وكان رجلاً تاجرًا. ذا خلق ومعروف.وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته، وحسن مجالسته)([٢٨١]).

أي لقد بدأت هذه الدعوة بكل شرائح المجتمع (المرأة والموالي والطفل والرجل والأغنياء والفقراء) ، وهذا مما يؤكد نجاحها علي كل الأصعدة .

نشط أبوبكر رضي الله عنه في الدعوة ، فكان يدعو أهل مودته ، ومن هم محل ثقته ، ولقد كان رصيده الأدبي والعلمي والاقتصادي والاجتماعي في المجتمع المكي عظيما ، ولذلك عندما تحرك في دعوته للإسلام استجاب له صفوة من خيرة الخلق وهم : عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه جميعاً .

ومضت الدعوة سرية وفردية على الاصطفاء ، والاختيار للعناصر التي تصلح أن تتكون منها الجماعة المؤمنة ، التي ستسعى لإقامة دولة الإسلام ودعوة الخلق إلى دين رب العباد والتي ستقيم حضارة ربانية ليس لها مثيل([٢٨٢]) .

جاء دور الدفعة الثانية ، بعد إسلام الدفعة الأولى ، فأول من أسلم من هذه الدفعة: أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن مخزوم بن مرة

---

[٢٨٠] انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (١/٢٨٤) .

[٢٨١] انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٣٧١) .

[٢٨٢] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ـ علي محمد محمد الصلابي ص.....

ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (برة بنت عبد المطلب) وأخوه من الرضاع ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، وعثمان بن مظعون الجمحي ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وقدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وفاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر بن الخطاب ، وزوجة سعيد بن زيد ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق ، وخباب بن الأرت حليف بني زهرة[٢٨٣] . وأسلم عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم.. بن هذيل ، ومسعود بن القاري ، وهو مسعود بن ربيعة ، بن عمرو ، بن سعيد بن عبد العزى ، بن حمالة بن القارة[٢٨٤] .

ومن السابقين إلى الإسلام: أبو ذر الغفاري ، وأخوه أنيس ، وأمه[٢٨٥] . ومن أوائل السابقين: بلال بن رباح الحبشي. وهؤلاء السابقون من جميع بطون قريش ، عدهم ابن هشام أكثر من أربعين نفرًا[٢٨٦] .

وقال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام في مكة ، وتُحدِّث به[٢٨٧] .

لقد كان رصيد هذه الدعوة بعد سنوات ثلاث من بدايتها ، أربعين رجلاً وامرأة ، عامتهم من الفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء ، وفي مقدمتهم أخلاط من مختلف الأعاجم: صهيب الرومي وبلال الحبشي .

---

[٢٨٣] انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين ، ص٢١٢.

[٢٨٤] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ـ علي محمد محمد الصلابي ص.....

[٢٨٥] انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢٨٧/١) .

[٢٨٦] انظر: سيرة ابن هشام (٢٤٥/١ إلى ٢٦٢) .

[٢٨٧] انظر: سيرة ابن هشام (٢٤٥/١ إلى ٢٦٢) .

إن البحث الدقيق يثبت أن مجموع من أشير إليهم بالفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء والأخلاط من مختلف الأعاجم هو ثلاثة عشر، ونسبة هذا العدد من العدد الكلي من الداخلين في الإسلام لا يقال (أكثرهم) ولا (معظمهم) ولا (عامتهم)([٢٨٨]).

إن الذين أسلموا يومئذ لم يكن يدفعهم دافع دنيوي ، وإنما هو إيمانهم بالحق الذي شرح الله صدورهم له ، ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم ، يشترك في ذلك الشريف والرقيق ، والغني والفقير ، ويتساوى في هذا أبو بكر وبلال وعثمان وصهيب ، رضي الله عنهم([٢٨٩]) .

ويقول الأستاذ صالح الشامي: (نحن لا نريد أن ننفي وجود الضعفاء والأرقاء ولكن نريد أن ننفي أن يكونوا هم الغالبية ـ لأن هذا مخالف للحقائق الثابتة ـ ولو كانوا كذلك لكانت دعوة طبقية ، يقوم فيها الضعفاء والأرقاء ضد الأقوياء وأصحاب السلطة والنفوذ ، ككل الحركات التي تقاد من خلال البطون ، إن هذا لم يدر بخلد أي من المسلمين وهو يعلن إسلامه ، إنهم يدخلون في هذا الدين على اعتبارهم إخوة في ظل هذه العقيدة ، عبادا لله ، وإنه لمن القوة لهذه الدعوة أن يكون غالبية أتباعها في المرحلة الأولى بالذات من كرام أقوامهم ، وقد آثروا في سبيل العقيدة أن يتحملوا أصنافًا من الهوان ما سبق لهم أن عانوها أو فكروا بها)([٢٩٠]) .

لقد كان الإسلام ينساب إلى النفوس الطيبة، والعقول النيرة، والقلوب الطاهرة التي هيأها الله لهذا الأمر ، ولقد كان في الأوائل خديجة وأبو بكر وعلى وعثمان والزبير

---

[٢٨٨] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ـ علي محمد محمد الصلابي ص.....

[٢٨٩] انظر: من معين السيرة صالح الشامي ص٤٠ .

[٢٩٠] انظر: من معين السيرة صالح الشامي، ص٤٠.

، وعبد الرحمن وطلحة ، وأبو عبيدة وأبو سلمة والأرقم وعثمان بن مظعون ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص ، وفاطمة بنت الخطاب وخالد بن سعيد ، وأبو حذيفة بن عتبة وغيرهم ، رضي الله عنهم ، وهم من سادة القوم وأشرافهم([٢٩١]) ، هؤلاء هم السابقون الأولون الذين سارعوا إلى الإيمان والتصديق بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكانت الدعوة في هذه المرحلة سرية ، فلم يظهر المسلمون أي شيء يدل على أنهم أتبعوا ديناً جديداً فلم يظهروا الدعوة حتي لأقرب الأقربين إلا من كانوا موضع ثقتهم ولا في مجالسهم أو أسواقهم ولا في أفراحهم أو اتراحهم ، إلا أنه لا يستبعد أن تكون بعض الأخبار والاستفهامات قد تسربت إلى قريش ، إلا أنهم لم يعيروها اهتماماً وذلك لتكتم المعلومات والالتزام بالموجهات النبوية من قبل من آمن بالدعوة في تلك الحقبة ، فكان دورهم عظيما في كل مراحل الدعوة .

إن من معالم هذه المرحلة ، الكتمان والسرية حتى عن أقرب الناس ، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يكوّن من بعض المسلمين أُسرًا (مجموعات) وكانت هذه الأسر تختفي اختفاء استعداد وتدريب ، لا اختفاء جبن وهروب حسب ما تقتضيه التدبيرات ، فبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام ينظم أصحابه من أسر ومجموعات صغيرة ، فكان الرجل يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما ، عند الرجل به قوة وسعة من المال ، فيكونان معه ويصيبان منه فضل طعامه ، ويجعل منهم حلقات ، فمن حفظ شيئًا

[٢٩١] انظر: من معين السيرة صالح الشامي، ص٤٠.

من القرآن علم من لم يحفظ ، فيكون من هذه الجماعات أسر أخوة ، وحلقات تعليم([٢٩٢]) .

إن المنهج الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربية أتباعه هو: القرآن الكريم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه تربية شاملة في العقائد والعبادات والأخلاق والحس الأمني وغيرها ؛ ولذلك نجد في القرآن الكريم آيات كريمة تحدثت عن الأخذ بالحس الأمني ؛ لأن من أهم عوامل نهوض الأمة أن ينشأ الحس الأمني في جميع أفرادها، وخصوصا في الصف المنظم الذي يدافع عن الإسلام ، ويسعى لتمكينه في دنيا الناس ، ولذلك نجد النواة الأولى للتربية الأمنية كانت في مكة ، وتوسعت مع توسع الدعوة ووصولها إلى دولة([٢٩٣]) .

صياغة لقد كان الذين آمنوا من الصحابة في تلك المرحلة يلتزمون بمنهج مدروس في من يريدون دعوته فيتم تحديده أولاً وذلك بعد تفحص دقيق ومتابعة ، ويجمعون معلومات دقيقة عنه ، وتحت اشراف القيادة العليا التي تتمثل في النبي صلي الله عليه وسلم ، ولذلك قام النبي صلى الله عليه وسلم بترتيب جهاز أمني رفيع يشرف على الاتصال المنظم بين القيادة والقواعد ليضمن تحقيق مبدأ السرية .

دار الأرقم بن الأرقم

لماذا اختار النبي صلي الله عليه وسلم دار الأرقم بن الأرقم ؟

كان لاختيار دار الأرقم بن الأرقم لعدة أسباب نجملها في النقاط التالية:

---

[٢٩٢] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ـ علي محمد محمد الصلابي ص.....

[٢٩٣] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ـ علي محمد محمد الصلابي ص.....

١. الموقع الجغرافي لدار الأرقم بن الأرقم .

٢. لم يعلم المشركين بإسلام الأرقم بن الأرقم ، فلذلك استبعدوا أن يجتمع المسلمون بداره .

٣. صغر سن الأرقم بن الأرقم فهو في حدود السادسة عشرة من عمره ، مما جعل قريش لم يخطر ببالها أن يجتمع النبي صلي الله عليه وسلم في بيوت صغار الصحابة مع وجود الكبار .

٤. للعداء بين بني مخزوم التي ينتسب إليها الأرقم بن الأرقم وبني هاشم التي ينتسب إليها النبي صلي الله عليه وسلم ، فقد كانت قبيلة بني مخزوم تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم ، مما جعل أهل مكة يستبعدون أن تكون دار الأرقم محتضنة للدعوة الإسلامية وباعتبارها أول مدرسة دعوية في التاريخ .

دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مركز إسلامي انطلقت منه الدعوة إلى الله

السؤال:

ما اسم المركز السري الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخذ منه منطلقاً لدعوته في بادئ الأمر ؟

تم النشر بتاريخ: ٢٠١٤-١٠-٢٦

الجواب:

الحمد لله

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول أمره يدعو إلى الله سرا مستخفيا ، لئلا يصيبه أو يصيب أحدا ممن اتبعه وآمن به ، الشرُّ والأذى من سفاء قريش ، فيتعطل سبيل الدعوة ، حتى نزل قول الله تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) الحجر/ ٩٤ ، فجهر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوته.

روى الطبري في " تفسيره " (١٥٢/١٧) عن عبد الله بن عبيدة قال : " مازال النبيّ مستخفيا حتى نزلت (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) فخرج هو وأصحابه. "

وقال ابن الجوزي رحمه الله:

"كَانَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستر النبوة ويدعو إِلَى الإسلام سرا ، وكان أَبُو بكر رضي اللَّه عنه يدعو أيضا من يثق به من قومه ممن يغشاه ، ويجلس إليه ، فلما مضت من النبوة ثلاث سنين نزل قوله عز وجل : (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) ، فأظهر الدعوة " انتهى من " المنتظم في تاريخ الأمم والملوك " (٣٦٤/٢. (

وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم هي المركز الرئيسي لانطلاق الدعوة ، واجتماع رسول الله صلى الله عليه وسم بالمؤمنين ليعلمهم الدين.

قال تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) مريم/ ٧٣.

قال ابن كثير رحمه الله:

) "خَيْرٌ مَقَامًا وأَحْسَنُ نَدِيًّا) أَيْ : أَحْسَنُ مَنَازِلَ وَأَرْفَعُ دُوْرًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ، وَهُوَ مَجْمَعُ الرِّجَالِ لِلْحَدِيثِ ، أَيْ : نَادِيهِمْ أَعْمَرُ وَأَكْثَرُ وَارِدًا وَطَارِقًا ، يَعْنُونَ : فَكَيْفَ نَكُونُ وَنَحْنُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ عَلَى بَاطِلٍ ، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ مُخْتَفُونَ مُسْتَتِرُونَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ وَنَحْوِهَا مِنَ الدُّورِ عَلَى الْحَقِّ ؟ كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) الأحقاف/١١ " انتهى من " تفسير ابن كثير" (٥/٢٥٧. (

وكان اسم الأرقم بن أبي الأرقم : عبد مناف بن أسد بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم ، ويكنى أبا عبد اللَّه.

"الإصابة " (١/ ١٩٦. (

وروى ابن مندة عن عبد اللَّه بن عثمان بن الأرقم عن جده – وكان بدريا ، وكان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم في داره التي عند الصفا حتى تكاملوا أربعين رجلا مسلمين ، وكان آخرهم إسلاما عمر ، فلما تكاملوا أربعين رجلا خرجوا.

"الإصابة " (١٩٧/١. (

وكان كثير من الصحابة الأوائل رضي الله عنهم قد أسلم قبل أن يدخل النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم ، منهم أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وخباب وعامر بن فهيرة ومعمر بن الحارث وواقد بن عبد الله وعثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم.

"سير أعلام النبلاء " (١١٩/٣. (

وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار ، عن أبيه قال : قال عمار : " لقيت صهيبا على باب دار الأرقم وفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلنا ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ، ثم مكثنا يوما على ذلك حتى أمسينا فخرجنا ونحن مستخفون. "

"سير أعلام النبلاء" (٣/ ٣٥٠.(

وقال المباركفوري رحمه الله:

"كان من الحكمة تلقاء اضطهادات المشركين أن يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن إعلان إسلامهم قولا أو فعلا ، وألا يجتمع بهم إلا سرا ؛ لأنه إذا اجتمع بهم علنا فلا شك أن المشركين يحولون بينه وبين ما يريد من تزكية المسلمين وتعليمهم الكتاب والحكمة ، وربما يفضي ذلك إلى مصادمة الفريقين.

ومعلوم أن المصادمة لو تعددت وطالت لأفضت إلى تدمير المسلمين وإبادتهم ، فكان من الحكمة الاختفاء ، فكان عامة الصحابة يخفون إسلامهم وعبادتهم ودعوتهم واجتماعهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع مع المسلمين سرا ؛ نظرا لصالحهم وصالح الإسلام ، وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي على الصفا . وكانت بمعزل عن أعين الطغاة ومجالسهم ، فكان أن اتخذها مركزا لدعوته ، ولاجتماعه بالمسلمين " انتهى بتصرف يسير من " الرحيق المختوم " (ص/٨٠.)

فكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مركز دعوي إسلامي ، انطلقت منه الدعوة ، واجتمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يعلمهم ويزكيهم.

ولا يحسن تسميتها بالمركز السري للدعوة .

»الأرقم» أول دار للدعوة في الإسلام

حجم الخط|

الأرقم بن أبي الأرقم (رسوم عصام طه(

تاريخ النشر: الأحد ٠٧ أغسطس ٢٠١١

عمرو أبو الفضل

كان الصحابي الجليل الأرقم بن أبي الأرقم من الأولين السابقين إلى الإسلام، فقد كان إسلامه قديماً، وهو الذي استخفى الرسول – صلى الله عليه وسلم – في داره والمسلمون معه، فكانت داره أول دار للدعوة إلى الإسلام.

ويقول الدكتور محمد متولي منصور – الأستاذ بجامعة الأزهر – هو عبد مناف بن أسد بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم وكنيته أبو عبدالله، وروى الحاكم في ترجمته في المستدرك أنه أسلم سابع سبعة، وقيل بل عاشر من أسلم بمكة، وكان – رضي الله عنه – في السادسة عشرة من عمره يوم أسلم.

وذكرت كتب التراجم أن إسلامه كان على يد أبي بكر الصديق، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله، وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقيه فقال: يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها، فقال رسول الله: إني رسول الله أدعوك إلى الله عز وجل فلما فرغ رسول

الله صلى الله عليه وسلم من كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر ومضى أبو بكر وراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، ثم جاء الغد عثمان بن مظعون وأبا عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا – رضي الله عنهم.

مركز الدعوة

عندما بدأ الرسول – صلى الله عليه وسلم – نشر الإسلام اختار الدار التي يمتلكها الأرقم على جبل الصفا لقربها من الكعبة لتكون مركزاً للدعوة ويجتمع فيها بالمسلمين سراً ليعلمهم القرآن الكريم وشرائع الإسلام خوفاً من بطش الكفار بالعصبة القليلة المؤمنة من الرجال الذين أسلموا بالخفاء، إذ كانت بعيدة عن أعين المشركين وتفكيرهم، وهي بمعزل عن المتربصين بالمسلمين في مكة، وبقى الرسول – صلى الله عليه وسلم – مدة ثلاث سنوات يدعو الناس إلى الإسلام بشكل سري في دار الأرقم، وحين ازداد اضطهاد المشركين للنبي – عليه الصلاة والسلام – وأصحابه، أخذوا يختفون فيها ويقيمون صلاتهم ومحادثاتهم السرية، ويتعلمون القرآن ويتلقون عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كل جديد من الوحي ويتدارسه معهم ويأمرهم باستظهاره وفهمه، وفى هذه الدار أسلم كبار الصحابة وأوائل المسلمين حتى بلغوا أربعين فردا، فخرجوا يجهرون بالدعوة إلى الله.

ذكر المؤرخون أن من أهم أسباب اختيار الرسول – صلى الله عليه وسلم – لدار الأرقم مقرا له – عليه الصلاة والسلام – أنه كان من الذين يعرفون الكتابة والقراءة، واتخذه الرسول – صلى الله عليه وسلم – كاتباً حتى يتيسر له – عليه الصلاة والسلام – كتابة ما ينزل عليه فور نزوله ولا سيما أثناء وجوده في دار الأرقم. ... المزيد

"الأرقم بن أبي الأرقم".. مدرسة قرآنية منذ عهد النبوة

رمضان ١٤٣٥ الإثنين ١٤-٠٧-٢٠١٤ الساعة ٠٤:٣٥ م

عَرَف التاريخ الإسلامي دار الأرقم بن أبي الأرقم منذ بداية بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث كان عليه الصلاة والسلام يجتمع والصحابة رضوان الله عليهم فيه بعيداً عن أعين المشركين، ليعلمهم القرآن الكريم وشرائع الإسلام. وقد اختار رسول الله . صلى الله عليه وسلم . دار الأرقم بن أبي الأرقم ليجتمع فيها بالمسلمين سرًا، حفاظا على دعوته وأصحابه، إذ كانت بعيدة عن أعين الطغاة وتفكيرهم، وكانت على جبل الصفا، وهي بمعزل عن المتربصين بالمسلمين في مكة، وكانت . فضلاً عن ذلك . للأرقم بن أبى الأرقم، وهو من السابقين الأولين الذين استجابوا لله والرسول.

ADVERTISING

inRead invented by Teads

وكان الأرقم ـ رضي الله عنه ـ في السادسة عشرة من عمره يوم أسلم، ويوم أن تفكر قريش في البحث عن مركز تجمع المسلمين، لن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار، بل يتجه نظرها إلى بيوت كبار الصحابة، وهذا من حكمة رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وتعود الدار التي تقع على جبل الصفا لرجل اسمه عبد مناف بن أسد المخزومي القرشي الكناني، ويكنى أبا عبد الله، وكان سابع رجل يدخل في الإسلام، وقيل كان الثاني عشر من الذين أعلنوا إسلامهم، وفي هذه الدار أسلم كبار الصحابة وأوائل المسلمين.

وقامت الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة بافتتاح معهد لتحفيظ القرآن الكريم، أطلقت عليه معهد دار الأرقم بن أبي الأرقم، ليصبح فيما بعد النواة الأولى لافتتاح المعاهد المتخصصة في الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة، حيث نشأت فكرة المعهد عند القائمين على الجمعية الخيرية؛ لتحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة، حينما أتم عدد من الطلاب حفظ القرآن الكريم، وأصبحت الحاجة ملحّة إلى مدرسين للقرآن الكريم بالحلقات، التي بدأت تتنامى ويزداد عدد الطلاب بها يوماً بعد يوم. وفي الأثر، قال ابن إسحاق: ".. كان أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ في نفر من

أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شِعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليه نفر من المشركين وهم يصلون، فأنكروا، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحي بعير فشجه، فكان أول دم أهريق في الإسلام."

ومن ثم أصبحت دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ رضي الله عنه ـ مركزاً للدعوة السرية، يتجمع فيه المسلمون، ويتلقون عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل جديد من الوحي، ويتربون على يديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أصبحت هذه الدار أعظم مدرسة للتربية والإعداد عرفها التاريخ، إذ تخرج منها قادة حرروا البشرية من رق العبودية، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، بعد أن رباهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم. والآن وبعد ١٤ قرناً من عهد النبوة يعمل المعهد الذي يحمل اسم دار الأرقم ويخلد ذكراه على تحفيظ القرآن، وتجويد أحكامه وإعداد أئمة المساجد، وتخريج عدد من القرُّاء المجيدين للقراءات السبع، كما يهتم بتدريس القرآن الكريم من حيث إتقان حفظه وضبط أدائه، بما يتفق مع قواعد التجويد المقررة في كتب أهل العلم، وخاصة الوقف والابتداء والتجويد.

هي الدار التي كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يجتمع فيها مع اوائل المسلين في مكه المكرمه في بداية دعوته ، وكانو يتعلمون اسس الاسلام وكانو يقرئون ماينزل الله عز وجل من القرآن الكريم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت الدعوة في ذلك الوقت سريه

دار الأرقم هي الدار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس فيها ليعلم أصحابه تعاليم الدين في بداية الدعوة، وكانت عند الصفا، وكانت للصحابي الجليل الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر المخزومي وأمه أميمة بنت الحارث. ودُعِيَت دارُ الأرقم بعد ذلك بدار الإسلام، ولهذه الدار قصة طويلة ذكرتها كتب التاريخ ملخصها: أن الأرقم رضي الله عنه تصدق بها قبل وفاته على ولده، وجاء في نسخة الصدقة. بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قضى الأرقم في ربعه ما حاز الصفا، إنها محرمة بمكانها من الحرم، لا تباع ولا تورث، شهد هشام بن العاص، وفلان مولى هشام بن العاص. ا.هـ فلم تزل هذه الدار صدقة قائمة فيها ولده يسكنون فيها ويؤاجرون حتى كان زمن أبي جعفر المنصور فإنه حج في إحدى السنوات، وبينما هو يسعى رأى تلك الدار فوقعت في نفسه، ثم بعد زمن ساوم أحد أحفاد الأرقم على بيعها وهو عبد الله بن عثمان بن الأرقم وكان مسجوناً عنده في قصة يطول ذكرها، فساومه على بيعها مقابل أن يخلي سبيله، فتنازل له عن حقه وكتب عليه كتاب شِرىً على حساب سبعة عشر ألف دينار وتتبع إخوته –وكانوا له شركاء في الدار– ففتنتهم كثرة المال فباعوها له، فصارت لأبي جعفر ولمن أقطعها. ثم صَيَّرَهَا المهدي للخيزران أم موسى وهارون فبنتها وَعُرِفَتِ الدار بها فصارت

تسمى دار الخيزران، ثم صارت لجعفر بن موسى أمير المؤمنين، ثم سكنها أصحاب الشَّطْوِي والعَدَني، ثم اشتراها غسان بن عباد من ولد موسى بن جعفر وهكذا. وهي الآن خبر بعد عين دخلت في حدود المسعى. ولقد مرت الدعوة النبوية بمرحلتين أساسيتين: مرحلة الدعوة السرية، وكانت ثلاث سنين بمكة المكرمة، ومرحلة الدعوة الجهرية وهي ما بعد ذلك.

وكانت طبيعة المرحلة الأولى تتطلب سرية العمل الدعوي، ريثما تتهيأ الظروف المناسبة للجهر بها، وكانت دار الأرقم، هي المكان المناسب لمثل هذه الظروف من أيام الدعوة.

كانت هذه الدار – دار الأرقم – على جبل الصفا ، ذلك الجبل المنعزل عما يدور حوله ، فهي إذن بمعزل عن أعين الأعداء والمتربصين، وكانت – فضلاً عن ذلك – للأرقم بن أبى الأرقم بن أسد بن عبد الله المخزومي وكان اسمه عبد مناف ، وهو من السابقين الأولين الذين استجابوا لله والرسول، وباعوا عَرَض الدنيا لأجل الآخرة، وآثروا تحمل الأذى والعذاب على حياة الشرك والكفر، فقد توافرت – لهذه الدار – صفات عدة جعلت منها منطلقاً ومناراً لهذه الدعوة الناشئة.

والذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لاختيار هذه الدار عدة أسباب، منها:

-1أن صاحب هذه الدار وهو الأرقم لم يكن معروفا بإسلامه، فلم يكن يخطر ببال أحد من المشركين أن يجتمع النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في هذه الدار.

-2أن الأرقم بن أبي الأرقم كان فتى عند إسلامه، ولم تفكر قريش أن هناك تجمع إسلامي عند أحد الفتيان، بل إن نظرها كان يتجه في الغالب إلى بيوت كبار الصحابة.

-3أن هذه الدار كانت قريبة من الكعبة المشرفة.

وفي هذه الدار المباركة، التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه رضي الله عنهم، وتلقوا عنه تعاليم الإسلام وتوجيهاته الكريمة، حيث كان صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم ما ينزل عليه من القرآن الكريم، ويعلمهم أمور دينهم ويباحثهم في شأن الدعوة، وما وصلت إليه ، وموقف المعرضين عنها والصادين عن سبيلها.

كان يسمع شكوى أصحابه وما يلقونه من أذى المشركين وكيدهم، يتحسس آلامهم وآمالهم، ويطلب منهم الصبر والمصابرة، ويبشرهم أن العاقبة للمتقين، وأن النصر مع المؤمنين ، وأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

لقد كانت رعاية الله وعنايته بالعصبة المؤمنة واضحة جلية لا تفارقهم بحال، على الرغم مما كان ينالهم من أذى المشركين، وكان من الحكمة البالغة في بداية أمر الدعوة الابتعاد بهذه العصبة المؤمنة عن كل ما يضر بها – قدر المستطاع –، وقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن تبقى دعوة الإسلام ضمن مجالها السري إلى أن هيأ الله لها من الأسباب ما مكنها من إشهار أمرها وإعلان رسالتها، { والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (يوسف:٢١).

مقاصد المرحلة السرية :

لهذه المرحلة مقاصد سامية نجملها فيما يلي :

١.السرية تساعد علي إعداد العدة المادية والمعنوية لمواجهة ما هو متوقع من قبل الأعداء ، وتفتح الطريق في تجميع أكبر عدد من المسلمين ، مما يحفز من تمكين الدعوة في الأرض .

٢.تصبح الدعوة قوية وتستطيع الدفاع عن نفسها وتكوينها اقتصادياً واجتماعياً ، إذا التزمت خط الاختفاء من أعين من يترصدها .

٣.السرية في الدعوة تفتح الآفاق للدعاة وتمكنهم من الارتباط بالكتاب والسنة والنهل منهما مما يقوي من إيمانهم بالدعوة مما يجعلهم يدافعون عنها بقوة وشراسة إذا لزم الأمر .

٤.السرية

٣. السرية تعين الدعوة حيث يطمئن الداخل فيها إن أمرة لن ينكشف وبالتالي فهو مأمن من الأعداء.

٥. شرح ابعاد الدين للمنضوين تحت لوائه العاملين علي نصرة حتي يكونوا علي ثقة من أنفسهم ويملكون الحقيقة العلمية التي يدافعون بها وعنها .

٦. إزالة الشبهات التي يثيرها الأعداء حول الدعوة ، وتعريف المدعوين بها ، حتى لا تؤثر عليها سلباً أو توهن من عزمهم ، لا سيما وهم حديثو عهد بالدعوة .

٧. كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر لهم أي التنزيل ، ويشرحها لهم حسب مقتضيات الأحوال ،ووفق متطلبات المرحلة والأحوال التي هم عليها .

٨. التدريب البطيء في التشريع بما يتلاءم مع أحوال المدعو النفسية وشفافيته الإيمانية .

٩. عزل المنضوين تحت لواء الدعوة عن البيئة الملوثة، وذلك لإبعادهم جزئياً، ولفترة من الزمن يخلون فيها بالداعي بعيداً عن أعين الفئة المضادة للدعوة لتصفو أنفسهم ، وتنشرح صدورهم بمنأى عن منطقة التشويش٢٩٤ .

١٠. العمل الدؤوب على ربط الجماعة المهتدية بدينها ، وذلك بالاستمرار في التحصيل العلمي المتدرج .

١١. إزالة الجهالة التي ربما ترسبت في بؤرة اللاشعور من مخلفات الماضي .

١٢. تزويدهم وإعدادهم لعرض الإسلام على الآخرين بأساليب متجددة ومتنوعة .

١٣. استعمال المتاح من الوسائل لاستخدامها في جذب المدعوين للدين ، وتحفيزهم للانضمام للجماعة الجديدة ، مثل ، تلاوة القرآن ، وهدايا والتصدق ..

١٤. العمل الجاد على تكوين قاعدة عريضة من المدعوين ، لا سيما محاولة إدخال أناس متنوعي المهن والحرف ومن أصحاب الجاه والمكانة في قومهم .

١٥.عرس روح الاعتزاز بالإسلام باعتباره باعث نهضة، وباني أمة، وباعتباره منهج تغيير

شامل .

١٦. تعميق فهم الثبات على المبدأ ، والتمسك بأهدافه وتثبيت جذوره في دواخل النفوس.

---

٢٩٤ معالم الدعوة في ضوء المنهج النبوي ـ دكتور محمد زين الهادي العرمابي ، ص ١٤٩-١٥١ ط ١ (شركة الراسيات للإنتاج الإعلامي والتوزيع ـ الجريف غرب الخرطوم : السودان) بدون تاريخ طبع (بتصرف).

١٧. العمل على تثبيت روح القدرة على نقل هذا الدين بغرس هذا الفهم في نفوس المنتمين لهذه المدرسة الأرقمية ، فهي النواة الأولى ، والبيانات الأساسية ، لهذا لا بد أن يكون متيناً وقوياً يتحمل ما يأتي فوقه من بناء جديد ، فلا بد أن يكون الداعي المتخرج في تلك المدرسة الجامعة له القدرة على حمل التجربة خارج ذاته وخارج جماعته .٢٩٥

عليه يمكن القول لأصحاب الدعوات والحركات الإسلامية بعد النبي صلي الله عليه وسلم أن أسلوب الدعوة السرية هو من الأساليب الدعوية التي خطاها النبي صلي الله عليه وسلم وقد فرضته وقائع الحال في الجزيرة العربية وبالأخص مكة ، والسرية كانت توجيه رباني للنبي صلي الله عليه وسلم كما تابعنا ، وهي من ضروريات عصره ، وله من الشواهد والأدلة في عصر النبوة ما يؤيده ، ويثبت مشروعيته ، والعبرة إنما هي في تحقيق أهداف الرسالة الإسلامية ، والوصول إلى تطبيق شرع الله في الأرض وليست العبرة بالوسائل والكيفيات التي تخضع للظروف المتغيرة ، والذين يفرضون نفس الوسائل النبوية في تحقيق الأهداف في كل زمان ومكان عليهم أن يقولوا بوجوب الدعوة السرية ثم العلنية ، ثم الهجرة ، ثم الدولة ثم الجهاد.. وهو غير ممكن ولا يمكن لرجل علم أن يقول مثل هذا القول وهذا ما لا أعلم أحداً من أهل العلم يفتي به.. فلا شك أن هذه أساليب مشروعة لممارسة الرسول صلي الله عليه وسلم لها ، لكن يجب أن تكون الوسائل متطورة متغيرة والمسلم الداعي عليه أن يسير في حدود المستطاع (لا يُكَلفُ اللهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا

٢٩٥ معالم الدعوة في ضوء المنهج النبوي د. محمد زين الهادي العرمابي ـ ص ١٥٧–١٥٩. مصدر سابق (بتصرف) .

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا)[٢٩٦] ولا يجوز رفض وسيلة مباحة بحجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستعملها ، لأن الوسائل تتطور مع تطور الزمان والمكان للقاعدة الفقهية (حكم الوسائل الإباحة مالم نجد ما يحرمها) ، ولكل أهل جيل وسائله وأساليبه وذلك لكي نهتدي بهدي النبي صلي الله عليه وسلم لابد من الالتزام بالضوابط الشرعية للوسائل والأساليب وذلك لنربط مابين الأصل والعصر ، ولا خيار عند المسلم إذا منع من الدعوة علناً أن يدعو إلى الله سراً ، وأن يؤسس ما شاء من أحزاب أو جماعات للدعوة إلى الله لأنه مأمور بذلك ، وحيث أن أهداف الدين لا تتحقق إلا من خلال جماعة وتعاون وتعاضد ، ولذلك فالجماعة واجبة لأن ما لا يتم الواجب إلا به يكون واجباً ، وأن الدعوة إلى الله سراً إنما هي بديل للدعوة العلنية ، وأن اللجوء إليها إنما هو في حالات الاستثناء والضرورة .

[٢٩٦] سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

المبحث الثاني : مرحلة الدعوة الجهرية في أهل مكة إلي السنة العاشرة.

بعد هذه المرحلة من مراحل الدعوة التي أستمرت ثلاث سنوات ، أمر الله رسوله . صلى الله عليه وسلم . بأن يصدع بالحق ، ويظهر الدعوة ، وينذر عشيرته قال تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)(٢٩٧) وقال تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)(٢٩٨) .

أخرج البخاري عن أبن عباس رضي الله عنهما قال : (لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين ، صعد النبي . صلى الله عليه وسلم . يقول : يا بني فهر يا بني عدي ، لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش، فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : فأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو هلب : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ ، فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)(٢٩٩) .

---

٢٩٧ سورة الحجر : الآيتان : (٤٩–٩٥).

٢٩٨ سورة الشعراء : الآية (٢١٤).

٢٩٩ صحيح البخاري مع الفتح ج ٨ ص ٣٨٦.

إذا أعتقد الداعي إلى الله أن دعوته تجهض في بدايتها بسبب الجهر بها ، أو خاف أن يناله أذى بحيث لا يقدر على تحمله فعليه أن يسر بها إقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم في مرحلة الدعوة الأولى ، ومن أجل هذا أجمع جمهور الفقهاء أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدة ، بحيث يغلب على الظن أنهم سيقتلون من غير نكاية في أعدائهم إذا ما أجمعوا قتالهم ، فينبغي أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس ، لأن المصلحة المقابلة ، وهي مصلحة حفظ الدين موهومة ، أو منفية الوقوع ، ويقرر العز أبن عبد السلام (٣٠٠) حرمة الخوض في مثل هذا الجهاد قائلاً : (فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام ، لما في الثبوت من فوات النفس مع شفاء صدور الكفار ، وإرغام أهل الإسلام ، وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة)(٣٠١) ، فتقديم مصلحة النفس هنا من حيث الظاهر فقط أما من حيث حقيقة الأمر ومرماه البعيد ، فإنها في الواقع مصلحة بدين ، إذ المصلحة الدينية تقتضي في مثل هذا الحال أن تبقى أرواح المسلمين سليمة ، لكي يتقدموا ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى ، وإلا فإن إهلاكهم يعتبر إضراراً بالدين نفسه ، وفسحاً للمجال أمام الكافرين ليقتحموا ما كان مسدوداً أمامهم السبل ، والخلاصة إنه يجب المسالمة أو الأسرار بالدعوة ، إذا كان الجهر بها مقيداً(٣٠٢) .

---

٣٠٠ هو سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي تفقه على ابن عساكر والأمدي ، وكان على مذهب الإمام الشافعي ، وبلغ درجة الاجتهاد وكان من المجاهدين في سبيل الله وكانت له مع الملوك وقفات تدل على صلابته في الحق ، له مصنفات كثيرة منها قواعد الأحكام ، الفتاوى ، التفسير الكبير ، توفي سنة ٦٦٦هـ ، الإعلام للزركلي ٣١١٤.

٣٠١ قواعد الأحكام في مصالح الأنام ـ العز ابن عبد السلام ـ (دار الكتب العلمية بيروت لبنان) بدون تاريخ ج ١ ص ٢١١.

٣٠٢ فقه السيرة للبوطي ، ص ١٠٧–١٠٨ ـ مصدر سابق .

فعليه مهما كانت العقبات لا بد للدعوة أن تتجاوز هذه المرحلة ، ولابد للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته أن يتحملوا النتائج مهما كانت ، وذلك لأن الدعوة أتت لكي تحرر جميع أهل الأرض من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد ، وهي دعوة ليست كسابقاتها .

فلذلك كانت مرحلة الجهر بها مرحلة حتمية في خط سير الدعوة ، ولكنه لم يتخل عن المرحلة الأولى ، وسيرته صلى الله عليه وسلم كانت كتمان تحركاته ، وذلك إذا كانت المصلحة الشرعية في الكتمان ، كما صنع صلى الله عليه وسلم في هجرته.

أهداف الجهر بالدعوة :

إن للجهر بالدعوة أهدافاً نبيلة ، يسعى النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيقها ، لكل مرحلة من أطوار الدعوة هدف تسعى لتحقيقه ، وترنو إل الوصول إليه ، كي يسلمها للمرحلة التي تليها ، حتى تكتمل نظم عقد الدعوة المنضود ، وليكن عمرها الممدود ، ويتدفق عطاؤها غير المحدود ، ونجمل فيما يلي بعض النقاط التي تشير إلى أهداف هذه المرحلة العلنية ، أو مرحلة علانية الدعوة :

١. إعلان الدعوة عن نفسها ، وإبراز شخصيتها في العلن ، لتعريف الناس بها .

٢. مواجهة قريش بالدعوة ، وفرض نفسها كحقيقة واقعة يلزم التسليم بها (فرض الأمر الواقع) ، حيث لا مجال لإنكارها وجحودها ، فهي قائمة بين ظهرانيهم تعلن عن نفسها وتسفر عن وجهها الوضاء .

٣. العمل على نشر الدعوة في القبائل الأخرى ، سواء عن حركة دعاتها وانتشارهم أو عن طرق أجهزة الدعاية المضادة والشائعات التي كانت تبثها قريش ، فقد ثبت

أن لشائعاتهم الأثر الكبير في نشر الدعوة ، حيث كانوا يجوبون الموارد ويطوفون القبائل محذرين من أن ساحراً ذاع صيته بينهم ، فهفت أفئدة الناس لرؤيتهم ، وتطلعوا لمعرفته ، ولو من قبيل الفضول ، وعندما التقوا به وبدعاته وتعرفوا على سماحة الإسلام ، وأنه دين الحق ، أنابوا إليه ، ودخلوا فيه .

٤. الصراع العلني مع الباطل ، ودحضه ، ورد مفترياته وتفنيد شبهه للعامة ومقارعته الحجة بالحجة ،حتى يذهب الزبد جفاء ويمكث ما ينفع الناس من الماء النمير العذب ..

٥. لابد من إظهار مزايا الدعوة العامة عياناً ، حيث أن السرية تمنع الكثيرين من الإطلاع على تلك الفوائد والحسنات ، والجواهر إذا ظل مدفوناً في التراب لن يعرفه أحد ، فإذا أنجلى عنه الغبار ، وأندثر التراب ، بدأ برقه ولمعانه ، فعرفه الناس واستفادوا منه ، وهذا من محاسن المرحلة الجهرية وأهدافها .

٦. كسر شوكة الكفر ، وذلك بعدة أشياء منها :

أ. أن المجاهرة تقوى شوكة المسلمين ، وتعينهم على الدفاع عن النفس .

ب. تساعد الجهرية على الاطلاع على محاسن الدعوة بما يذيعه المسلمون وما يعلنونه من شعائر الدين وقراءة القرآن ، مما يتيح للآخرين معاينة ذلك والإعجاب به ومحاكاته.

ج. كما أن العمل العلني يعين على التقليد والمحاكاة ، ونشر الفضائل وإبراز مساويء الطرف الآخر ، بالمقارنة مع محاسن الإسلام ، فالناس مولعون بالمقارنة دائماً .

٧. إزالة عامل الخوف عن المستضعفين والمترددين ، وتحفيزهم للدخول في الدعوة ، عندما يروا أن كبار الذين أسلموا قبلهم يدعون إليها ، ويدافعون عنها ، ويقارعون عدوها بالحجة الداحضة والبرهان القوي ، كما يرون ضعف أدلة الآخرين ووهن حجتهم وضحالة منطقهم(٣٠٣) .

الابتلاءات في هذه المرحلة .

جرت سنة الله تعالى ألا يمكن لأمة بعد أن تمر بمراحل الإختبار المختلفة والعقبات الصعبة ، وإلا بعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث ، فيميز الله الخبيث من الطيب ، وهي سنة جارية والأمة الإسلامية لا تتخلف .

فكان من العقبات ما هو أمر لا زم لا محيص عنه ، يدل على ذلك كتاب الله الكريم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)(٣٠٤) .

يقول ابن كثير في تفسر الآية : وقوله : (حَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) استفهام إنكار ، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلى عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان ، كما جاء في الحديث الصحيح أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلي الرجل على حسب دينه فإذا كان في دينه صلابة زيد في البلاء(٣٠٥) وهذه الآية كقوله :(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

---

٣٠٣ معالم الدعوة في ضوء النهج النبوي ـ د/ محمد زين الهادي العرمابي ـ ص ١٧٦–١٧٧ مصدر سابق (بتصرف).

٣٠٤ سورة العنكبوت : الآية ٢.

٣٠٥ سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ الألباني ـ ج ١ ، ص ١٤٣.

وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)(٣٠٦) ، ومثلها في سورة براءة وهي قوله : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(٣٠٧) وقال في البقرة : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ)(٣٠٨) ، ولهذا قال هاهنا (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) أي الذين صدقوا في دعواهم الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه)(٣٠٩) .

الابتلاء من سنن الله القائمة الباقية الجارية عبر التاريخ والأزمان ، فما من نبي إلا وقد أبتلى وأوذي وحورب فمنهم من قتل ومنهم من ألقي في النار ومنهم من أخرج من أرضه وكذلك إتباعهم ، فقد نالهم من الابتلاء والأذى والقتل والتشريد والتعذيب صنوفاً وألواناً شتى من أجل دعوتهم ، فلما نجحوا في الابتلاء وثبتوا على الحق تنزل عليه نصر الله تعالى فأبلدهم من بعد خوفهم أمنا ومكن لهم في الأرض وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين كل ذلك سببه ، الثبات في الدعوة وتحمل البلاء والأذى لنشر هذا الدين من أجله ، وإعلاء كلمة الله تعالى ، والنصرة لهذا الدين .

والنبي صلى الله عليه وسلم كغيره من الرسل لقد هذا المصير الذي لا مفر منه ، وأبتلى بتعذيب أصحابه واضطهادهم .

---

٣٠٦ سورة آل عمران الآية (١٠٦).

٣٠٧ سورة التوبة الآية ١٦.

٣٠٨ سورة البقرة الآية ٢١٤.

٣٠٩ تفسير القرآن العظيم ـ للحافظ بن كثير ، ج ٦ ، ص ٢٧٣.

عندما بدأت الدعوة إلى الأقربين (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)[٣١٠] ، وبدأ كثيرون يعلنون إسلامهم ، ومنذ هذه اللحظة اتخذت المعارضة موقفاً عنيفاً متشدداً ، حمل لواءها عمه عبد العزى الذي عرف بأبي لهب ، وذلك حينما خَرَجَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهْ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: (أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)[٣١١] ؛ فالصحابة رضي الله عنهم صدقوا نبيهم صلى الله عليه وسلم تصديقا جازما في كل ما أخبرهم عن الله عز وجل ، أما المشركون فكذبوه حتى قال له عمه: (تَبًّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلا لِهَذَا ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)[٣١٢] .. وأصبحت المعارضة تشتد بينما الإسلام ينتشر ، لم يقف المعارضون من قريش موقف المتفرج ، بل بدأته موجة من التعذيب والتنكيل ، وكل صامد صابر يردد في صمته واحتماله الآلام (أحد أحد).

كانت النتيجة لهذا الصد والإعراض والسخرية ، والإيذاء والتكذيب والكيد المدبر المدروس ، وقد أشتد الصراع بين النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه ، وبين شيوخ الوثنية وزعمائها وأصبح الناس في مكة يتناقلون أخبار ذلك الصراع في كل مكان ، وكان ذلك في حد ذاته مكسب عظيم للدعوة ، أسهم فيه أشد وألد أعدائها ممن كان يشيعون في القبائل قالة السوء عنها ، فليس كل الناس يسلمون بدعاوي زعماء الكفر والشرك .

---

٣١٠ سورة الشعراء: الآية٢١٤ .

٣١١ البخاري في تفسير القرآن، باب تفسير سورة تبت يدا أبي لهب ١٩٠٢/٤(٤٦٨٧) .

٣١٢ سورة المسد: الآية ١

لقد تعرض النبي صلى الله عليه وسلم لأشكال وأنواع متعددة من الابتلاءات ، كغيره من عباد الله الصالحين **ومن هذه الابتلاءات:**

١. السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والضحك ، قصدوا بها تخذيل المسلمين ، وتوهين قواهم المعنوية فرموا النبي صلى الله عليه وسلم بتهم هازلة وشتائهم سفيهة ، فأتهموه بالجنون ، قال تعالى : (وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)(٣١٣) ، ويصمونه بالسحر والكذب ، قال تعالى : (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)(٣١٤) ، وكانوا يشيعونه ويستقبلونه بنظرات ملتهمة ناقمة ، وعواطف منفعلة هائجة ، قال تعالى : (وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)(٣١٥) ، وكان إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه استهزأوا بهم وقالوا هؤلاء جلساؤه قال تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)(٣١٦) قال تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)(٣١٧) ، وكانوا كما قص الله علينا قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ، وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ، وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاء لَضَالُّونَ)(٣١٨) .

---

٣١٣ سورة الحجر : الآية ٦.

٣١٤ سورة ص : الآية ٤.

٣١٥ سورة القلم : الآية ٥١.

٣١٦ سورة الأنعام : الآية ٥٣.

٣١٧ سورة الأنعام : الآية ٥٣.

٣١٨ سورة المطففين : الآيات (٢٩-٣٣) .

ورأى رسول الله من المشركين كثيراً من الأذى ، وعظيم الشدة خصوصاً إذا ذهب إلى الصلاة عند البيت ، وكان من أعظم الناس أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة سموا لكثرة أذاهم بالمستهزئين ، فأولهم وأشدهم : أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة ، المخزومي ، القرشي ، قال يوماً : يا معشر قريش أن محمداً قد أتى ما ترون من عيب دينكم ، وشتم آلهتهم ، وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم ، إني أعاهد الله لأجلسن له غداً ، بحجر لا أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته ، رضخت به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو أمنعوني ، فليصنع به بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فلما أصبح ، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ينتظره ، وغدا عليه السلام كما كان يغدو إلى صلاته ، وقريش في أنديتهم ينتظرون أبو جهل بالحجر ، وأقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه ولي منهزماً ، منتفعاً لونه من الفزع ، ورمى حجره من يده ، فقام إليه رجال من قريش ، فقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم ، فلما دنوت منه ، عرض لي فحل من الإبل ، والله ما رأيت مثله قط ، هم بي أن يأكلني ، فلما ذكر ذلك لرسول الله . صلى الله عليه وسلم ، قال : (ذلك جبريل ، ولو دنا لأخذه)(٣١٩) .

وكان أبو جهل كثيراً ما ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن صلاته في البيت ، فقال له مرة بعد أن رآه يصلي : ألم أنهك عن هذا ؟ فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم . القول ، وهدده ، فقال : أتهددني وأنا أكثر أنل الوادي نادياً ، فأنزل

٣١٩ أشرف الكلام من شمائل سيد الأنام ـ نور الكبير أحمد عبد الجليل ـ ص ٣٦–٣٧ ط ١ (مؤسسة الرسالة بيروت ـ لبنان) ١٩٨٧م .

تهديداً له في آخر سورة قال تعالى : (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ)(٣٢٠) .

عن عبد الله بن مسعود قال : ما رأيت رسول الله . صلى الله عليه وسلم دعا إلى قريش غير يوم واحد ، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس وسلى(٣٢١) جزور قريب منه ، فقالوا : من يأخذه هذا السلا فيلقيه على ظهره فقال عقبة بن أبي معيط : أنا ، فأخذ فألقاه على ظهره ، فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته من ظهره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أللهم عليك بالملأ من قريش ، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام أللهم عليك بعقبة بن أبي معيط اللهم عليك بأبي بن خلف أو أمية أبن خلف) ، قال عبد الله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب غير أبي أو أمية بن خلف، فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع ، والصواب أمية بن خلف الذي قتل يوم بدر وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد .

وفي بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض ، أي يميل هذا على هذا من شدة الضحك . لعنهم الله وفيه فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليه فسبتهم وأنه صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك وخافوا دعوته (٣٢٢) ، وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم . همزه ولمزه .

---

٣٢٠ سورة العلق : الآيات ١٥–١٩.

٣٢١ لسلي الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه ، أنظر النهاية في غريب الحديث ج ٢ ، ص ٣٩٦.

٣٢٢ البداية والنهاية للحافظ بن كثير ـ ج٣ ، ص٤٤ ، ط٢ (دار الفكر ومكتبة المعارف : بيروت) ١٩٧٧م .

وفيه نزل : (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ)(٣٢٣) ، قال بن هشام : الهمزة : الذي يشتم الرجل علانية ، يكسر عينيه ، ويغمز به ، واللمزة ، الذي يعيب الناس سراً ويؤذيهم(٣٢٤) ، أما الرسول فلا يعدو الصبر والحكمة والتحمل ، وضبط الأعصاب ، وعدم الاستجابة إلى استفزاز المشركين ، امتثالا لأمر الله تعالى في كتابه الكريم بقوله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)(٣٢٥) ، ومن أمثلته ما روى عن عبد الله بن عمرو قال : قد حضرت قريشاً ، وقد أجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا لا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا : فبينما هم على ذلك إذ أطلع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأقبل يمشي حتى أستلم الركن ، ثم مر طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك بوجه رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : (أستمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح)(٣٢٦) .

فكانوا يضعون في طريقه الشوك ، ويطرحون على بابه القاذورات(٣٢٧) ، وكانون يلقون عليه التراب إذا سجد ، ويرمون بالقاذورات داخل بيته(٣٢٨) ، وحاولوا قتله

---

٣٢٣ سورة الهمزة : الآية ١.

٣٢٤ السيرة النبوية : أبن هشام ج ١ ، ص٣٥٦–٣٥٧ ط ٢ (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر) ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م .

٣٢٥ سورة النساء : الآية ٧٧.

٣٢٦ صحيح البخاري ، ج٦ ، ص ١٥٩.وأنظر : الفاتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، تأليف أحمد عبد الرحمن البنا ، ج ٢٠ ، ص ٢١٩ ، والسيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٦ ، ص ١٥٩.

٣٢٧ سيرة ابن هشام : ج١ ، ص ٢١٩ ـ مصدر سابق ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ، تحقيق الدكتور عبد المعطي فلعجي ـ ج ٢ ، ص ١٥٩ ـ ١٩٦ ، ط ١ (دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان) ١٩٨٥م.

أكثر من مرة ، وأقبل عقبة بن أبي معيط يوماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة ، فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبوبكر . رضي الله عنه . فدفعه عنه ، وقال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم)(٣٢٩) .

فلم يقف الأمر عند الرجال ، فحتى النساء أصبحن يؤذين أفضل خلق الله ، فامرأة أبي لهبب أم جميل بنت حرب بن أمية أخت سفيان ، كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى بابه ليلاً ، وكانت أمرأة سليطة تبسط لسانها ، وتطيل عليه الافتراء والدس ، وتؤجج نار الفتنة ، وتثير حرباً شعواء على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب .

وهناك كثير من الذين سخروا من النبي صلى الله عليه وسلم ، أمثال الوليد بن المغيرة المخزومي ،والنضر بن الحارث ، والأسود بن عبد يغوث الزهري .

وهناك جماعة غيرهم كانوا شديدي الأذى والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولكنهم آمنوا وأسلموا ، وحسن إسلامهم كأبي سفيان بن حرب ، والحكم بن العاص ، وعبد الله بن أمية المخزومي أخي أم سلمة لأبيها رضي الله عنهما .

٢. أسلوب الإغراء :

عندما رأى الكفار إصرار النبي صلى الله عليه وسلم على المضي في دعوته ، وعدم نجاح كل محاولاتهم للتخلي عن دعوته ، قدموا له مغريات كثيرة أوردها ابن

---

٣٢٨ دلائل النبوة ـ ج ٢ ، ص ٣٥٠.

٣٢٩ صحيح البخاري ـ البخاري ج ٥ ص ١٢ ـ ودلائل النبوة ج ٢ ص ٢٧٥ ـ مصدر سابق .

إسحاق بقوله :(أجتمع عليه من أشراف قريش وذكر أسماءهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض :أبعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدء ، وكان حريصاً لهم ، يريد رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ، وما بقي قبيح إلا وقد جئته بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وأن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمعون التابع من الجن الرئي فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك٣٣٠.

وقد كان رد النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الإغراءات يتسم بالمودة والطاقة ، من غير مجاملة على حساب الحق ، ولا استجابة للإغراء ، حاملاً في طياته نفي ما به مما يقولونه مبيناً على إصراره على الاستمرار ، وصبره على أمر الله ، حيث قال : (ما بي تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل علي كتاباً ، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به ، فهو

---

٣٣٠ سيرة بن هشام ـ ج١ ،ص ٢٦٦ . وأنظر أنساب الأشراف ـ لأبي الحسن أحمد بن يحيى البلذري ، ج ١ ،ص ١٥١ ،تحقيق محمد حميد الله (دار المعارف ، مصر) ١٩٥٩م ،وأنظر ـ دلائل النبوة معرفة أحوال أصحاب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ ج ٢، ص ٢٠٣–٢٠٣.

حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم)(٣٣١) .

والجدير بالذكر أن أهل الباطل في كل زمان يستخدمون هذا الأسلوب مع أصحاب الدعوات ، وذلك لكي يثنوا أصحاب الدعوات عن دعواتهم حتى يفسحوا لهم المجال لبث سمومهم وفسادهم في الأرض .

٣. أسلوب المساومة :

حاولوا بهذا الأسلوب أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه ، ويترك النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما هو عليه ، روي ابن أسحق عن أبن عباس أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، أخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك كنت قد شاركتنا فيه ، وأخذت بحظك ، منه ، فأنزل الله تعالى :(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)(٣٣٢) ..(٣٣٣).

إن أشراف قريش طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس فقراء المؤمنين ، أمثال ، بلال ، وصهيب ، وعمار ، وخباب ، وابن مسعود ، وأن يفردهم بالمجلس ، ويطرد غيرهم ، فطمع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في إيمانهم وإسلامهم وحدثته نفسه فيما طلبوا ، لكن التوجيه الرباني نبه على أن

---

٣٣١ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ ج ٦ ص ٢٠ ـ ط٣ (دار الكتاب العربي ـ بيروت : لبنان) ١٩٨٢.

٣٣٢ سورة الكافرون : الآية (١) .

٣٣٣ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ، ج ١٠ ، ص ١٥٤.

الدعوات لا تقوم على من يعتنقوها ليقودوا بها الأتباع ، ويحققوا بها الأطماع، ويتجروا بها في سوق الدعوات يشتري بها ويباع ، إنما تقوم هذه الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له ، لا تبغي جاهاً ولا متاعاً ، إنما تبتغي وجهه وترجو رضاه(٣٣٤) .

٤. تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات ، والتهم الباطلة ، وبث الدعايات الكاذبة ، حول ذاته وشخصيته ، والإكثار من ذلك حيث لا يبقى للعامة مجال في تدبر دعوته .

قال ابن إسحق :(ثم أن الوليد بن المغيرة أجمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش أنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه ، قالوا : فأنت يا أبا عبد الشمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به ، قال: بل أنتم فقولوا أسمع ، قالوا : نقول كاهن قال : لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه ، قالوا : نقول مجنون قال : ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ولا سوسته ، وقالوا ، نقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضة ومبسوطة ، فما هو بالشعر ، قالوا فنقول ساحر ، قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لعدق وإن فرعه لجناة ، قال ابن هشام ويقال لغدق ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا

٣٣٤ في ظلال القرآن ـ لسيد قطب ـ ج ٥ ص ٣٨٣ (بتصرف).

عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقول ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك)(٣٣٥) .

وقد وقفت هذه الشرذمة الظالمة تتهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وتصفه بأوصاف هي أعرف الناس بكذب ما تصف ، وبكذب ما تقول ، فقالوا عنه كذاب وقالوا ساحر ، وقالوا عنه مجنون ، وشاعر ، وكاهن ، وصفوا القرآن بأساطير الأولين ،غير ذلك مما حلي لهم قوله ، وسجل القرآن هذا كله ،ودحضه ورد عليهم في سور كثيرة وآيات كثيرة .

٥. الضغط عليه من خلال أقرب الناس إليه :

ذهبت قريش إلى أبي طالب في رجال من أشرافهم ، وذلك للفصل في أمر أبن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن يعيد النظر في موقفه منه ، ويطلب منه التوقف عن دعوته ، وإلا فإنه سيعرض عمه لما لا يطيق .

قال ابن أسحق :(إن قريشاً حيث قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا ، للذي قالوا له فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ، قال :

---

٣٣٥ سيرة ابن هشام ـ ج١ ، ص٢٧٠–٢٧١ . أسباب النزول ـ للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الوحداوي النيسابوري ، ص٣٣٠–٣٣١ (عالم الكتب : لبنان) بدون تاريخ .

فظن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قد بدأ لعمه فيه بدو ، وأنه خذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه)(٣٣٦) .

فبعد سماع النبي صلى الله عليه وسلم لمقالة عمه ، وظن أنه خاذله ، وأنه أستجاب لضغوط قريش وأساليبهم في التصدي ، كان لا بد أن يظهر رده على مقالة عمه ، ويبين موقفه جلياً ، والذي أتضح منه الإصرار على المضي مهما كانت العقبات والمغريات ، فما كان إلا أن قال له : (والله يا عم لو وضعوا الشمس على يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) قال : ثم أستعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ، ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا أبن أخي فقل ما أحببت ، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً)(٣٣٧) .

٦. أسلوب المقاطعة :

عندما أحس الكفار بخطورة هذه الدعوة على مكانتكم ، خاصة بعد إسلام حمزة ، وعمر ، ثم رفض محمد صلى الله عليه وسلم لكل أساليبهم ، ثم تواثق بنو المطلب ، وبنو هاشم كلهم مسلمهم وكافرهم ، على حماية محمد صلى الله عليه وسلم ومنعه ، حار المشركون في أمره ، خاصة إذا أقدموا على قتله لضاقت بهم الأرض ، لذلك لجأوا إلى أسلوب الحصار ، الذي ما زال يستخدمه الكفار ضد العالم الإسلامي .

---

٣٣٦ سيرة أبن هشام ، ج ١ ، ص ٢٦٥ والسيرة النبوية للإمام علي بن أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ، ج ١ ، ص ٢٣٣.

٣٣٧ سيرة بن هشام ـ ج١ ، ص ٢٦٦ ـ تاريخ الرسول والملوك ـ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ ـ تحقيق أبوة الفضل إبراهيم ـ ط ٥ (دار المعارف) بدون تاريخ .

يقول صاحب كتاب الرحيق المختوم : (اجتمعوا في خيف بني كنانة من وادي المحصب فتحالفوا ، على بني هاشم وبني المطلب ، أن لا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يجالسوهم ، ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ، ولا يكلموهم ، حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عقود ومواثيق (أن لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموه للقتل)(٣٣٨).

يقول ابن القيم الجوزية :(يقال : كتبها منصور بن عكرمة بن هاشم ، ويقال : نضر بن الحارث ، والصحيح أنه بغيض بن عامر بن هاشم ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت يده)(٣٣٩) .

وأشتد الحصار ، قطعت عنهم الميرة والمادة ، لم يترك المشركون طعاماً يدخل مكة ولا بيعاً إلا بادروا فاشتروه ، حتى بلغهم الجهد ، والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود ، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع ، وكان لا يصل إليهم سراً ، وكانوا لا يخرجون من الشعب لشراء الحوائج إلا في الأشهر الحرم ، وكانوا يشترون من العير التي ترد مكة من خارجها ، ولكن أهل مكة كانون يزيدون عليهم في السلعة قيمتها حتى لا يستطيعون الشراء(٣٤٠).

---

٣٣٨ الرحيق المختوم ـ صفي الرحمن المباركفوري ، ص ١٠٩ ، ط١ (مؤسسة الرسالة بيروت : لبنان) ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

٣٣٩ زاد المعاد ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب المعروف بابن القيم ج ٢ ، ص ٤٦ ، ط ١ (دار المطبعة المصرية) ١٣٤٧هـ –١٩٢٨م .

٣٤٠ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ـ لفتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس الشافعي الأندلسي ، ج ١ ص ١٥٨ ، ط١ (دار الآفاق الجديدة : بيروت) بدون تاريخ .

وكان رده صلى الله عليه وسلم على هذه المقاطعة الظالمة والحصار الجائر هو الاستمرار والمضي في دعوته ، دون الالتفات والتلكؤ ، ودون التردد أمام العواطف الجياشة والمجاملة الملحة .

وهناك أساليب أخرى أتبعها الكفار في حربهم ضد النبي صلى الله عليه وسلم مثل طلب الخوارق والمعجزات ، وغيرها من الأساليب ، ولكن كان رده صلى الله عليه وسلم على هذه الأساليب ، أتسم بالهدوء التام ، وعدم الاستجابة لاستفزازاتهم ، وتحمل كبير للأذى ، أتيح معه السماح بالهجرة والاستجارة بالمشركين وغير ذلك .. وأبتلي صلى الله عليه وسلم بتعذيب أصحابه ، واضطهادهم ، فإنه عليه الصلاة والسلام يتألم لذلك غاية الألم .

قد قرر المشركون ألا يألوا جهداً في محاربة الإسلام وإيذاء الداخلين فيه والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام ، وظلت مكة عشرة أعوام تعد المسلمين عصاة ثائرين ، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم ، وانقلبت هذه الحرب إلى تنكيل وسفك دماء بالنسبة إلى المستضعفين من المؤمنين ، فمن ليست له عصبية تدفع عنه لا يعصمه من الهون والقتل شيء ، بل يستمر على الآلام حتى يكفر أو يموت أو يسقط إعياءً .

كان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه ، وأوعد بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال ، والجاه ، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى ب(٣٤١) .

---

٣٤١ السيرة النبوية ـ ابن هشام ج ١ ، ص ٣٢٠.

فمن المستضعفين بلال مولى أمية بن خلف الجمحي ، كان أمية يضع في عنقه حبلاً، ثم يسلمه إلى الصبيان ، يطوفون في جبال مكة ، حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه

وكان أمية يشده ثم يضربه بالعصا ، وكان يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس ، كما كان يكرهه على الجوع ، وأشد على ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حمية الظهيرة فيطرحه في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزة ، فيقول وهو في ذلك أحد ، أحد ، حتى مر به أبوبكر يوماً وهم يضعون ذلك به فاشتراه بغلام أسود ، وقيل بسبع أورق ، أو بخمس من الفضة وأعتقه(٣٤٢) .

ومن هؤلاء عمار بن ياسر، وهو من السابقين الأولين في الإسلام ، وكان مولى لبني مخزوم ، أسلم هو وأبوه وأمه ، فكان المشركون يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرها ، ومر بهم النبي عليه الصلاة والسلام وهم يعذبون فقال : (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)(٣٤٣) ، فمات ياسر في العذاب ، وأغلظت أمرأته (سمية) القول لأبي جهل فطعنها في قلبها بحربة في يديه ، فماتت وهي أو شهيدة في الإسلام ، وشددوا العذاب على عمارة بالحر تارة ، وبوضع الصخر على صدره أخرى ، وبالتغريق أخرى ، وقالوا : لا نتركك حتى تسب محمداً أو تقول في اللات والعزى خيراً ففعل ، فتركوه فأتى النبي . صلى الله عليه وسلم . يبكي فقال : ما وراءك ؟ قال شر يا رسول الله كان الأمر كذا وكذا !!

---

٣٤٢ المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣١٧ –٣١٨.

٣٤٣ حديث حسن صحيح ـ رواه ابن اسحق في السيرة (١ ص ٢٠٣) وأخرجه أحمد (رقم ٤٣٩) وأبو النعيم في الحلية (١ص ١٤٠) عن عثمان بن عفان .

قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : أجده مطمئناً بالإيمان ، فقال : يا عمار أن عادوا فعد ، فأنزل الله تعالى : (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)(٣٤٤) وقد حضر المشاهد كلها مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم(٣٤٥).

ومنهم خباب بن الإرث رضي الله عنه فقد روي عنه أنه قال عن نفسه: لقد رأيتني يوماً وقد أوقدوا لي ناراً ، ثم سلقوني فيها ، ثم وضع رجل رجله على صدري ، فما أتقيت الأرض إلا بظهري ، ثم كشف خباب عن ظهره فإذا هو قد برص ، وروي عن خباب رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت: يا رسول الله لا تدعو الله لنا ، فقال ، إن كان من كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط من الحديد ما دون عظمه من لحم أحدهم وعصبه ، ما يصرفه عن ذلك دينه ، وبوضع المنشار على مفرق رأس أحدهم فيشق باثنين ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه(٣٤٦) .

هذه سنة الله في خلقه ما بقي الإنسان ، لا بد للمؤمنين من ابتلاء وفتنة واختبار ، سواء كانت بالسراء أو الضراء ، وما الأوامر والتكاليف الشرعية إلا جزء من هذا الإختبار .

---

٣٤٤ أخرجه أبن جرير في تفسيره (١٢ص ١١٣) ـ وأبوبكر الجصاص في (أحكام القرآن) (٣ ص ٢٣٦) ، أخرجه الحاكم (٢ ص ٣٢٧) ثم قال (صحيح على شرط الشيخين) .

٣٤٥ فقه السيرة ـ محمد الغزالي ـ ص ١٠٣.

٣٤٦ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ج ١٠ ص ١٨٨.

وقد قابل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته هذا الابتلاء بالصبر والتحمل ، ولجأ لبعض الأساليب الأخرى مثل ، الهجرة والاحتماء بالمشركين ، والرخصة في القول بما يوافق المشركين ، والرد على الخصم بالقول المناسب ، والسرية والإخفاء وغير ذلك(٣٤٧) .

وهناك فوائد لابتلاء المؤمنين لا حصر لها منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. يتعرف المؤمنون من خلال هذه الابتلاءات أن حقيقة الإيمان طريق محفوف بالمخاطر والأشواك ، يتعرض فيه لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان باللسان واليد ، قال تعالى : (قُلْ لَوْكُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)(٣٤٨) ، يقول الأستاذ سيد قطب : (إن حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في القلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان ، مجاهدتهم باللسان بالتبليغ والبيان ، ومجاهدتهم باليد لدفعهم عن طرق الهدي حين يعترضونه بالقوة الباغية ، وحتى يتعرض في هذه المجاهدة للابتلاء والصبر على الجهد ، والصبر على الأذى ، والصبر على الهزيمة ، والصبر على النصر أيضاً ، فالصبر على النصر أشق من الصبر على الهزيمة ، وحتى يتمحص القلب ويتميز الصف ، وتستقيم الجماعة على الطريق ، وتمضي فيه راشدة صاعدة ، متوكلة على الله ، حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في القلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان ، لأنه يجاهد نفسه أولاً في أثناء مجاهدته للناس ، وتنفتح له في الإيمان آفاق لم تكن له أبداً ، وهو قاعد آمن سالم ، وتتبين له حقائق في الناس وفي الحياة

---

٣٤٧ لمعرفة هذه الأساليب بالتفصيل ـ أنظر أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ـ د / زياد محمود العاني ، ص ١١٤٢ ـ ١٥١ ط ١ (دار عمان للنشر والتوزيع ـ عمان الأردن) ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٣٤٨ سورة آل عمران : الآية ١٥٤.

لم تكن لتتبين له أبداً بغير هذه الوسيلة ، ويبلغ وهو بنفسه ومشاعره وتصوراته وبعاداته وطباعه وانفعالاته واستجاباته ما لم يكن ليبلغه أبداً بدون هذه التجربة الشاقة المريرة ، وحقيقة الإيمان لا يتم تمامها في جماعة حتى تتعرض للتجربة والامتحان والابتلاء ، وحتى يتعرض كل فرد فيه على حقيقة طاقته اللبنات التي تتألف منها ، مدى احتمال كل لبنة ، ثم مدى تماسك هذه اللبنات في ساعة الصدام)(٣٤٩) .

٢. كسب الحسنات من عند الله ومضاعفتها وتكفير الذنوب ، قال صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه)(٣٥٠) ، وقال صلى الله عليه وسلم: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة)(٣٥١) .

٣. تميز الصفوف ، بين المؤمنين والمنافقين الذين في قلوبهم مرض ، خوفاً من أن يختلط الحابل بالنابل ، والخبيث بالطيب ، قال تعالى : (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ)(٣٥٢) .

---

٣٤٩ فقه الدعوة ، أختاره من الظلال أحمد حسن ـ ص ١٤٠ ط (مؤسسة الرسالة) ١٣٩٠هـ .

٣٥٠ صحيح البخاري ، ج ٧ ، ص ٢.

٣٥١ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمبار كفوري (٧ ص ٨٠) .

٣٥٢ سورة آل عمران : الآية (١٧٩) .

فالمحن التي تعرض لأصحاب الدعوات هي التي تميز هذه الأصناف وتفرزهم من بين المؤمنين وتنفي الخبث من صفوفهم كما ينفي الكير خبث الحديد(٣٥٣) .

٣٥٣ كتاب الصبر في القرآن ـ للدكتور يوسف القرضاوي ، ص ١٨ ، ظ ١ (مكتبة وهبة بالقاهرة) ١٣٩٧هـ .

المبحث الثالث : مرحلة الدعوة خارج مكة وفشوها فيهم إلي الهجرة .

مفهوم الهجرة :

أولاً :في اللغة:

اسمٌ من هجر يهجُر هَجْرا وهِجرانا([٣٥٤]). قال ابن فارس: (الهاء والجيم والراء أصلان، يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شد شيء وربطه. فالأول الهَجْر: ضد الوصل، وكذلك الهِجْران، وهاجر القوم من دار إلى دار: تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة)([٣٥٥]) .

وجاء في مفردات القرآن: هجر والهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره ؛ إما بالبدن ؛ أو باللسان ؛ أو بالقلب. قال تعالى: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ)(٣٥٦) كناية عن عدم قربهن ، وقوله تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً)(٣٥٧) فهذا هجر بالقلب ، أو بالقلب واللسان. وقوله: (..وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً)(٣٥٨) يحتمل الثلاثة ، ومدعو إلى أن يتحرى أي الثلاثة إن أمكنه مع تحري المجاملة، وكذا قوله تعالى: (... وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)(٣٥٩) ، وقوله تعالى: (... وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ...)(٣٦٠) ، فحث على المفارقة بالوجوه كلها(٣٦١) .

---

[٣٥٤] انظر: لسان العرب (٤٦١٦/٨) .

[٣٥٥] معجم مقاييس اللغة (٣٤/٦) .

٣٥٦ سورة النساء: الآية ٣٤ .

٣٥٧ سورة الفرقان:الآية٣٠

٣٥٨ سورة المزمل: الآية ١٠

٣٥٩ سورة مريم: الآية ٤٦

وضبط ابن منظور أيضاً التي بمعنى الخروج من أرض إلى أرض بضم الهاء:الهُجْرة(٣٦٢) . ويكون الهجر بالقلب واللسان والبدن(٣٦٣) : فمن الهجر بالبدن قوله تعالى: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ)(٣٦٤). ومن الهجر باللسان قول عائشة رضي الله عنها لما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى ، أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم) قالت: أجل ، والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك(٣٦٥). ومن الهجر بالقلب ما جاء في حديث: (من الناس من لا يذكر الله إلا مهاجراً)(٣٦٦) ، قال ابن الأثير نقلاً عن الهروي: (يريد هِجران القلب وترك الإخلاص في الذكر ، فكأنّ قلبه مهاجر للسانه غير مواصل له)(٣٦٧). وقد تجتمع هذه الوجوه كلها أو بعضها في بعض أنواع الهجر.

ثانياً : اصطلاحا .

---

٣٦٠ سورة المدثر: الآية ٥

٣٦١ غريب القرآن للأصفهاني (ج ١ / ص ٥٣٦) ومفردات ألفاظ القرآن الكريم (ج ٣ / ص ٥٣) .

٣٦٢ انظر: لسان العرب (٤٦١٧/٨) .

٣٦٣ انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (٧٣٨) .

٣٦٤ سورة النساء:٣٤ الآية٣٤

٣٦٥ أخرجه البخاري (٣٢٥/٩-الفتح) [٥٢٢٨]. وفي هذا الحديث فضل عائشة رضي الله عنها حيث إنها أخبرت مقسمة أنها في حالة الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا تتغير عن المحبة المستقرة في قلبها للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا يترك قلبها التعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم مودة ومحبة، ثم من فطنتها رضي الله عنها أنها لما لم يكن لها بد من هجر اسمه الشريف أبدلته بمن هو صلى الله عليه وسلم أولى الناس به وهو إبراهيم عليه السلام حتى لا تخرج عن دائرة التعلق في الجملة. انظر : فتح الباري (٣٢٦/٩).

٣٦٦ لم أقف عليه.

٣٦٧ النهاية (٢٤٥/٥) .

عرّفها غير واحد بأنها ترك دار الكفر والخروج منها إلى دار الإسلام[٣٦٨] .وأعم منه ما قاله الحافظ ابن حجر: (الهجرة في الشرع ترك ما نهى الله عنه)[٣٦٩] ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه)[٣٧٠] ، وهي تشمل الهجرة الباطنة والهجرة الظاهرة ، فأما الهجرة الباطنة فهي ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء وما يزيّنه الشيطان ، وأما الظاهرة فهي الفرار بالدين من الفتن[٣٧١] ، والأولى أصل للثانية .

ولما كانت الثانية أعظم أمارات الأولى وأكمل نتائجها خص بعض العلماء التعريف بها كما تقدم. ثم لما كانت هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة أشرف الهجرات وأشهرها انصرف اللفظ عند الإطلاق إليها.

وأما لفظ الهجرتين فهو عند الإطلاق يراد به الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة[٣٧٢] .

الهجرة الأولى

كانت أول هجرة للمسلمين الأولين إلى الحبشة ، لما في أرضها من الأمان ، وملكها النجاشي الذي عم عدله وإحسانه في بلاده ، فقد كانت هذه الهجرة بإذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه الذين تعرضوا لفتنة المشركين وصدوهم عن

---

[٣٦٨] انظر : التعريفات للجرجاني (٢٥٦) والمفردات للراغب (٥٣٧) وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٧٢/١-٧٣) .

[٣٦٩] فتح الباري (١٦/١) .

[٣٧٠] جزء من حديث أخرجه البخاري (٥٣/١-الفتح) [١٠] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

[٣٧١] انظر: فتح الباري (٥٤/١) .

[٣٧٢] انظر: لسان العرب (٤٦١٧/٨) .

سبيل الله ، فخرجوا فراراً إلى الله تعالى ، وكانت هجرتهم إلى الحبشة للإقامة المؤقتة بها حتى يجعل الله تعالى لهم مخرجاً.

الإذن بالهجرة إلى الحبشة

الرواية التالية تفيدنا أنها كانت هجرة مؤقتة ، بانتظار ما يستقبل بتوفيق الله تعالى. قال ابن اسحق : فلما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يصيب من أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله تعالى ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنع عنهم ما هم فيه من البلاء ، قال لهن :(لو خرجتم إلى الحبشة ، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لك فرجاً مما أنتم فيه) ، وفي رواية: (إن بها ملكاً لا يظلم الناس ببلاده ، فتحرزوا عنده حتى يأتيكم الله فرج منه)(٣٧٣) فهاجر جماعة وأستخفى آخرون بإسلامهم (٣٧٤) .

كانت الهجرة إلى أرض الحبشة مرتين ، بلغ عدد المهاجرين في المرة الأولى أثني عشر رجلاً وأربع نسوة .

خرجوا متسللين سراً ، فوفق الله لهم سفينتين لتجار حملوهم فيهما فخرجت قريش في آثارهم ، حتى جاؤوا البحر ، فلم يجدوا أحداً منهم .

---

٣٧٣ السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ، ص ٢٦٤.

٣٧٤ صفة الصفوة ـ أبو الفرج أبن الجوزي ـ تحقيق محمود فاخوري ـ ج ١ ص ١١٥ ط ١ (دار المعرفة : بيروت) ١٩٨٦م .

كان قوام المهاجرين الأولين إلى الحبشة قادة وأصحاب مكانة في قومهم ، وذلك ليفلحوا في أداء مهمتهم ، وهي الدعوة إلى الله تعالى ، واكتساب أراضي جديدة ، وذلك بعد أن يأمنوا ويستقر بهم المقام(٣٧٥) .

الهجرة الثانية إلى الحبشة كانت بعدما أشتد بلاء قريش على المؤمنين في مكة ، فأذن لهم رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية ، وكان خروجهم الثاني أشد عليهم وأصعب ، وقد لقوا من المشركين تعنيفاً شديداً وأذى بليغاً ، إذ صعب عليهم ما بلغهم من النجاشي ، من حسن جواره من المهاجرين .

كان جملة من خرج في هذه المرة ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشر امرأة ، بقيادة جعفر بن أبي طالب ، وقد روى الإمام أحمد عن أم سلمة قصة الهجرة إلى الحبشة مع النجاشي ، وما دار من حوار قاده جعفر بن أبي طالب ، فأحسن الحديث عن الإسلام، حتى أسلم النجاشي ، وقد تضمن هذا الحوار التعريف بأصول الإسلام ، حتى أسلم النجاشي ، وقد تضمن هذا الحوار التعريف بأصول الإسلام ، من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وإقامة شرائعه ، والتخلق بمكارم الأخلاق ، وكرائم الشمائل التي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لها بلسان حاله ومقاله ، وهي أساس كل دعوة خالصة لله رب العالمين ، وتجديد لأمر الدين على منهاج النبوة، من صدق الحديث وأداء الأمانات إلى أهلها ، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار ، والبعد عن الدنايا ، وسفك الدماء ، والكف عن المحرمات والفواحش كلها ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار

---

٣٧٥ أنفاس طاهرة من طائف الهجرة النبوية أ د / أحمد علي الإمام ص ٤٢ ط ١٠ (مكتبة الشريف الأكاديمية الخرطوم) ٢٠٠٢م .

النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله ، لا نؤذي ، ولا نسمع شئياً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم(٣٧٦) ، جمعوا له آدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص ، وأمروهما أمرهم ، وقالوا لهما أدفعوا هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ، ثم قدموا للنجاشي هداياه ، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم ، قالت : فخرجا فقدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار ، وعند خير جار ، فلم يبق من بطارقته بطريق ، إلا دفعا إليه هديته ، قبل أن يكلما النجاشي ، قالا لكل بطريق منهم : أنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فتشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ، ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلم بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم ثم أنهم قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلماه ، فقالا له : أيها الملك أنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم ، من آبائهم ، وأعمامهم ، وعشائرهم ، لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه ، قالت : فلم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم ، فقالت بطارقته حوله : صدقوا أيها

---

٣٧٦ الأدم بفتحتين جمع أديم وهو الجلد مختار الصحاح ص ٤.

الملك ، قومهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما ،فليردوهم إلى بلادهم وقومهم ، قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله أيم الله إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا أكاد قوماً جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني عمن سواي ،حتى أدعوهم فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني ، قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول : والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كائن في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوه، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الأمم ؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، يأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة ، والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، قالت: فعدد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه ، وآمنا به ، وأتبعناه على ما جاء به ، فعبدنا الله وحده ، ولم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا

إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا ، وظلمونا ، وشقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك ، أيها الملك ، قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فأقرأه علي ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) قالت : فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والله الذي جاء به موسى ليخرج مشكاة واحدة ، انطلقا ، فو الله لا أسلمهم إليكما أبداً ، قالت أم سلمة : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاس : والله لأنبئه غداً عيبهم عنده ، ثم أستأصل به خضراءهم ، قالت : فقال عبد الله بن أبي ربيعة . وكان أتقى الرجلين فينا . لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا ، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد ، قالت ثم غدا عليه الغد ، فقال : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسألهم ما يقولون فيه ، قالت : فأرسل إليهم يسألهم عنه ، قالت : ولم ينزل بنا مثله ، فأجتمع القوم ، فقال بضعهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه ؟ قالوا نقول والله فيه ما قال الله ، وجاء به نبينا كائن في ذلك ما هو كائن ، فلما دخلوا عليه قال لهم : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاء به نبينا ، هو عبد الله ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، قالت :فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال ، ثم قال : ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذه العود ، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال : وإن نخرتم ، والله أذهبوا فأنتم سيوم بأرضي . والسيوم الآمنون . ، من سبكم غرم ،

ثمن من سبكم غرم ، فما أحب أن لي دبراً ذهباً وأني أذيت رجلاً منكم . والدبز بلسان الحبشة الجبل . ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لنا بها ، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حيث رد على ملكي فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه ، قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار)(٣٧٧) .

أثر الهجرة إلى الحبشة في الدعوة إلى الله :

١.نشر الإسلام في القارة الأفريقية ، حيث أسلم النجاشي ، وصار بذلك أول ملك يدخل الإسلام .

٢. كان المهاجرون إلى الحبشة ظهراً ومددا للمسلمين ، أبقاهم النبي . صلى الله عليه وسلم . هنالك حتى إذا حدث لمن بمكة حادث يكون الإسلام بخير ، بقيام المهاجرين بالحبشة بدور الدعوة .

٣.إن حالة الأمن والسلام والعدالة هي الحالة التي ينتشر فيها الإسلام .

الهجرة إلى المدينة

قال بن أسحق فلما أراد الله إظهار دينه ، وإعزاز نبيه ، وإنجاز موعده له خرج رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم ،فبينما هو عند العقبة لقي نفراً من الخزرج (٣٧٨) ، أراد الله بهم خيراً، فدعاهم إلى . الله عز وجل،

---

٣٧٧ أخرجه الإمام أحمد مسند آل البيت برقم ١٦٤٩.

٣٧٨ هم جابر بن عبد الله وأسعد بن زرارة وعوف بن الحارث ورافع بن مالك وقبطه بن عامر ، راجع أنفاس طاهرة من لطائف الهجرة ص ٨٦.

وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فأسلموا ،وكان أول من أسلم من الأنصار ستة كلهم من الخزرج(٣٧٩) .

بيعة العقبة الأولى:

كانت بيعة العقبة الأولى في العام التالي لإسلام الستة ، قال ابن إسحق : حتى إذا كان العام المقبل لذلك الحج وافى النبي صلى الله عليه وسلم أثنا عشر رجلاً من الأنصار ، ولقوا بالعقبة الأولى ، فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب ، فكانت البيعة على ألا يشركوا بالله شيئاً ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتون ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصون في معروف(٣٨٠). فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير معهم يعلمهم القرآن ويدعوهم إلى الإسلام .

بيعة العقبة الثانية :

رجع مصعب بن عمير إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بخبر الأنصار، من الأوس والخزرج ، وانتشار الإسلام بينهم ، منذ بعثه النبي . صلى الله عليه وسلم . مع أهل بيعة العقبة الأولى .

---

٣٧٩ السيرة النبوية ابن هشام ج ١ ، ص ٢٤٨.

٣٨٠ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه : (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بالبهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله و من أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له من أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) فبايعناه على ذلك ، الحديث أخرجه البخاري كتاب الحدود ـ باب توبة السارق برقم ٦٤١٦ج٦/ ٢٤٩٤ النسائي كتاب البيعة باب البيعة على الجهاد برقم ٤١٦١ ج ٧/ ١٤١.

خرج الأنصار في الموسم مع حجاج قومهم . حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة ، فكانت بيعة العقبة الثانية ، وحضروها ثلاثة وسبعون بينهم امرأتان ، وكانت بنودها:

١. السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره .

٢. إيثار رسول الله . صلى الله عليه وسلم . .

٣. أن لا ينازعوا الأمر أهله .

٤. الحماية الكاملة لرسول الله . صلى الله عليه وسلم(٣٨١) .

الإذن بالهجرة إلى المدينة :

قال ابن اسحق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام ، والنصرة له ولمن أتبعه ، وآوى إليهم من المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المسلمين بمكة بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحاق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : أن الله عز وجل جعل لكم أخواناً وداراً تأمنون بها ، فخرجوا أرسالاً ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له بالخروج إلى المدينة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : (بينما نحن يوماً جلوس ببيت أبي بكر في نحر الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبوبكر رضي الله عنه فداءاً له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر ، قالت

---

٣٨١ أنفاس طاهرة من لطائف الهجرة ص ٩٢.

: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأذن، فأذن له ، فدخل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: أخرج من عندك ، فقال أبوبكر : إنما هم أهلك ، بأبي أنت يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال أبوبكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله أحدى راحلتي هاتين ، قال بالثمن ، قالت عائشة : فجهزناها أحدث بالجهاز ، وصنعنا لها سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها ، فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت بذات النطاقين ، قال ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في جبل ثور ، فكمنا فيه ثلاث ليال ، يبيت في الغار عبد الله بن أبي بكر ، وهو غلام شاب ثقف لقن ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمراً يكادان به إلا عاد حتى يأتيهما بخبر ذلك ، حتى يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر من غنم ، فيريحها عليها حيث تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رسل ، وهو لبن من منحتهما ورضيفهما(٣٨٢) ، حتى ينعبق بها عامر بن فهيرة بغلس(٣٨٣) ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليال الثلاث ، وأستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر رجلاً من بني الديل ، وهو من بني عبد بن علي هادياً خريتاً والخريت الماهر بالهداية ، وقد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأمناه فدعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، وأنطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل ، فأخذ بهما طريق السواحل(٣٨٤) .أتى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وأحسن

---

٣٨٢ لرضيف اللبن المرضوف ، وهو الذي طرح فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه ، لسان العرب ج ٩ ص ١٣١.

٣٨٣ لغلس ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٢٧٧.

٣٨٤ صحيح البخاري مع الفتح (٧ ص ١٨٥) .

أهل المدينة استقباله فقد كانوا يتوقعونه ، وينتظرونه كل يوم ، ويشتاقون له حتى علا التكبير أرجاء المدينة الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣٨٥) .

أثر الهجرة إلى المدينة في الدعوة إلى الله :

١. بيان العناية الإلهية التي حظيت بها الدعوة الإسلامية ، وذلك بحفظ رسولها صلى الله عليه وسلم من مكر الماكرين ، وغدر الغادرين ، فعندما أحكم أعداء الإسلام خطتهم للقضاء على الإسلام أحكم الله أمره لنبيه بالخروج من هذا البلد إلى بلد الإسلام.

٢. الهجرة مثلت نقلة في تاريخ الدعوة الإسلامية ، وذلك أنها صارت دولة بعد أن كان المسلمون أفراداً ، أو مجتمعات صغيرة في دولة كافرة .

٣. التخطيط الدقيق والإحصاء والرصد والحيطة الأمنية وتعاطي الأسباب والأسرار والكتمان في مواطنهما ، فقد كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر هجرته عن الناس كلهم إلى أن حان حينها .

٤. الهجرة تمكين للدعوة ، وبلوغ للمقاصد مهما كانت العوائق .

٥. التشريع لم ظلم أو كان في أرض الشرك لا يستطيع أن يقوم بأمر دينه أن يهاجر إلى أرض فيها يستطيع أداء شعائر الإسلام .

٦. إخلاص النية لله سبحانه وتعالى(٣٨٦) .

---

٣٨٥ أنفاس طاهرة من لطائف الهجرة النبوية . ص ١٣٨.

وفي الختام علينا أن نلاحظ الخط الرباني الذي التزم به النبي صلي الله عليه وسلم في بناء الدولة الإسلامية منذ بداية دعوته وهو سر نجاحها ، وهذ الخط مبني علي اسلوب التدرُّج عبر أطوار متعددة ، اختلفت أحكام كل طور عن الطور الآخر بحسب ما يقتضيه واقع كل طور وحال المسلمين فيه ، من قوة أو ضعف. فتدرجت الدعوة إلى الإسلام وإقامة الدولة الإسلامية .

إنَّ أول هذه الأطوار والمراحل مرحلة الدعوة السرية ، وقد كانت مدتها ثلاث سنوات ، ثم بعد أنْ أصبح المسلمون كثرة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)([٣٨٧]) .

وقد أُمِرَ النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة ، بدعوة عشيرته الأقربين ، قال تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)([٣٨٨]) .

ثم بعد ذلك أُمِرَ أنْ يدعو أهل مكة وما حولها ، قال تعالى: (كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)([٣٨٩]) .

---

[٣٨٦] أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب ـرضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمريء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه . أنظر البخاري كتاب بدء الوحي ـ باب كيف بدء الوحي ـرقم ١ ج ١ ص ٢.

[٣٨٧] سورة الحجر، الآية: ٩٤ـ ٩٥

[٣٨٨] سورة الشعراء ، الآية (٢١٤) .

[٣٨٩] سورة الشورى ، الآية (٧) .

ثم بعد ذلك أُمِرَ أنْ ينذر العرب خاصة ، قال تعالى:(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)([٣٩٠]) .

ثم بعد ذلك أُمِرَ أنْ يدعو الناس كافة، قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)([٣٩١]) ، وقال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)([٣٩٢]) .

وفي كل طور من هذه الأطوار كان مأموراً هو وأصحابه بالصبر على الأذى وألا يقابل الإساءة بمثلها قال تعالي :(وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً)([٣٩٣]).

ثم بعد ذلك تدرَّجت الدعوة إلى طور آخر من أطوار البناء ، وهو الهجرة إلى المدينة ، وفرض القتال ، لأن حال المسلمين تبدل فأصبحت لهم قوة ومنعة ، لذلك أذن لهم في القتال([٣٩٤]) .

ولقد لخص الإمام ابن القيم هذه المراحل فقال في مراتب الدعوة: (المرتبة الأولى النبوة ، والثانية إنذار عشيرته الأقربين ، والثالثة إنذار قومه ، والرابعة إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة ، والخامسة أنذر جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر ، وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاثاً يدعو إلى الله سبحانه وتعالى مستخفياً ، ثم نزل عليه . فأعلن صلى الله عليه

---

[٣٩٠] سورة السجدة، الآية (٣) .

[٣٩١] سورة سبأ ، الآية : (٢٨) .

[٣٩٢] سورة الأنبياء ، الآية : (١٠٧) .

[٣٩٣] سورة المزمل، الآية (١٠) .

[٣٩٤] راجع هذه الأطوار في: كتاب التشريع الإسلامي مصادره وأطواره: الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل، الطبعة الأولى.

وسلم بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد عليه الأذى وعلى المسلمين حتى أذن لهم بالهجرتين)([٣٩٥]) .

الخاتمة

فقد اشتملت الخاتمة على أهم النتائج التي توصل إليها الكتاب ، ثم التوصيات وهي:

١.إن الابتلاء سنة ربانية[٣٩٦] في طريق الدعوة إلى الله ، وإن النجاح فيه وسيلة للنجاح في الدعوة إلى الله .

٢.طريق الدعوة إلى الله محفوف بالمخاطر ، والأشواك ، والنجاح في تجاوزها وسيلة للنجاح في الدعوة إلى الله.

٣.غزوات النبي – صلى الله عليه وسلم – في جملتها الهدف الأساسي منها هو نشر الإسلام ، وتأمين حركة الدعاة ، وذلك عن طريق إزالة العقبات التي تقف في طريقها ، المتمثلة في الطواغيت الذين يقفون ضد الدعوة ، ولم يتركوا الرعية ليسمعوا كلام الله.

٤.إن الجهاد الإسلامي ليس موجهاً ضد الأفراد بأعينهم ، ولا لإجبار أحد على اعتناق الإسلام ، وإنما هو قتال للأنظمة السياسية ، والاجتماعية ، التي تقوم على أساس العبودية للبشر بالتزام مناهجهم ،وتطبيق أحكامهم ، وهو قتال موجه ضد القائمين على تلك الأنظمة ، وضد وسائلهم ومؤسساتهم ، المسخرة لحماية تلك

---

[٣٩٥] زاد المعاد: لابن القيم، ١/٣٤.

٣٩٦ السنن الربانية لابد من حدوثها ولا نختلف ، فهل كل الدعوات بدون استثناء كان فيها ابتلاء .. الماضية واللاحقة على يوم القيامة!!

الأنظمة ، وأما الأفراد فالمقاتلون المسلمون لا يتعرضون لهم إلا بقدر ما يسهمون به في المدافعة عن تلك الأنظمة.

٥.شرع القتال في الإسلام لتحرير العباد من الضغوط ، وأنواع الإكراه التي تمنعهم من اختيار عقائدهم بحرية ، ولا يتحقق هذا الهدف إلا بتحطيم مراكز القوى الكافرة ، التي هي مصدر تلك الضغوط أو مصدر حماتيها.

٦.الذين يحصرون الجهاد في الحرب الدفاعية يحصرون الدعوة الإسلامية في بقعة من الأرض ، وكأن مقصد الله من إنزال رسالة الإسلام هداية أناس بعينهم دون غيرهم ، وتخليص أناس بعينهم من الظلم ، وعدم الالتفات إلى بقية العباد .

٧.إن موضوع الجهاد في الإسلام هو الإنسانية كلها ، في كل زمان ومكان ، إن هذا النوع الإنساني كله يجب أن يستقيم على الفطرة التي فطر الناس عليها وهي عبادته وحده ٣٩٧– سبحانه – والتحرر من كل معبود ، ومن كل طاغوت، وممن كل باطل ، لأنه لا يحيا حياته الإنسانية الكريمة إلا إذا تحرر من كل هذا٣٩٨.

٨.الحكام الذين يحكمون الناس بغير ما أنزل الله هم الذين يحاربون الإسلام ، ويضعون أمام دعوته المعوقات ، والعراقيل ، ويضطهدون الدعاة ، ويحظرون كل توجه سياسي إسلامي ، يرون فيه خطراً على سلطانهم ، وتحكمهم في البلاد والعباد.

---

٣٩٧ لو أن الله خلقهم وفطرهم جبلة وخلقه على عبادته لما كفر أحد ! !

٣٩٨ الفطرة هي القابلية ولكن الناس بعضهم على باطل وبعضهم عبدوا الطواغيت.

٩.الجهاد في سبيل الله هو مصدر عزة الأمة المسلمة على مر الايام ، وهو أساس تقوم به الدعوة ، بل لا تنجح إلا به ، ولا يتخلى عنه إلا من فتن عن دينه ودعوته.

١٠.لقد حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يكون التعاون متكاملاً بين المسلمين جميعاً ، وخاصة في أمور الحرب ، فلم يكن – عليه السلام – يضع خطة بمفرده ، ولم يستبد برأي معين ، بل كان يطرح الأمر شورى بين الناس ، كل يدلي بدلوه ويعرض وجهة نظره ، وكانت الآراء تناقش بروح الأخوة الإسلامية.

١١.ثبت أن اليهود لا يحترمون العهود والمواثيق ، ولا يعرفونها ، ويشهد على ذلك نقضهم لكل عهودهم مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الإطلاق.

١٢.لقد عكست هذه الغزوات أهم مطلوبات الدعوة ، وهي إن يضحى الإنسان في سبيلها بكل ما هو مطلوب ، إذ هذه التضحية هي المعيار الدقيق لصدق التوجه إلى الله ، وإلى العمل من أجل دعوته ودينه٣٩٩.

١٣.إن تفشي الباطل وهيمنته وتعذيبه للمؤمنين ، وفتنتهم عن دينهم يكون عند فقد الجهاد والقوة الرادعة لقوى الشر والطغيان، وأوضح مثال العهد المكي في عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وهذا العصر الحاضر.

١٤.الوفاء بالمعاهدات واحد في الحرب والسلم وتحريم الخيانة فيهما ، والإسلام في هذا المجال يطالب المؤمنين بالمحافظة عليهما ، ويتوعد في ذات الوقت المخالفين الناقضين لعهودهم ومواثيقهم بأشد الوعيد.

---

٣٩٩ في ص ١٣ قلت : الدعوة هي الإسلام !! وهنا جعلت الدعوة شيء والدين شيء وهو الصحيح.

١٥.من أدب الحرب في الإسلام ، الكف عن القتال إذا كف عنه الأعداء ، وحصر الحرب على الجيش المحارب ، فلا يجوز التعرض للنساء والأطفال والشيوخ والرهبان ، وكل من كف عن القتال ، واحتمى بداره ، وتحريم التمثيل بالقتلى والإحراق بالنار ، وإتلاف الأموال ، وتجويع الأعداء ، وضرب فيها أروع الأمثلة.

ضرورة إعلان الحرب من جانب المسلمين قبل البدء في أي قتال ، رغبة في أن لا تكون الحرب وسيلة للخداع والخيانة من جانب المسلمين.

الغنائم ليست هدفاً من أهداف الحرب ، ولا يجوز أن تجعل كذلك ، ولا يجوز التشدد مع الناس لهذا القصد ، وقد حرم القتال بغية الحصول على غنائم أو مكاسب دنيوية أخرى.

للجهاد الإسلامي مراحل يسلم بعضها إلى بعض ، وآخر هذه المراحل قتال الكفار كافة ، حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويخضعوا لحكم الإسلام.

إن الإسلام يفتح باب الرحمة للمقاتلين من الأعداء وزعمائهم ، ولا يحصر مصيرهم في القتل ، بل يقبل منهم التنازل عن مراكز التسلط التي جعلوا أنفسهم فيها ، ويحفظ لهم دماؤهم وأموالهم إذا كفوا عن الإمساك بخناق العباد ،ويشملهم كغيرهم بعدله ورحمته.

أكثر ما يخيف الكفار عقيدة الجهاد ، ومن أجل ذلك يحاربونها بكل وسائلهم ، وينادون بتغيير المناهج حتى تواكب رغباتهم وتطلعاتهم.

إن استمرار الجهاد في سبيل الله ضرورة تمليها على المسلمين ظروف أعدائهم المستمرين في عداء الإسلام والمسلمين ، ولذلك كانت الغاية التي توقف عنها الجهاد هي يوم القيامة.

ثانياً : التوصيات :

يُوصي الباحث علماء الأمة الإسلامية ، والكتاب والمؤلفين والدارسين أن يعِّرفوا الناس بالتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ، بكل أنواعها ، خاصة التي تحد من انتشار الإسلام ، وأن يعملوا على إحياء سنة الجهاد في كل مكان وزمان .

يُوصي الباحث الدعاة إلى الله أن يثبتوا أمام العقبات التي تقف أمامهم ، ولا يهولنهم هذا الباطل وأهله وقضه وقضيضه ، فإنه ما دام باطلاً فإن دولته ساعة ، المهم أن يثبتوا على الحق ، وأن يستعينوا بالله ويصبروا، ويوقنوا بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين.

يُوصي الباحث الجماعات الإسلامية باتباع ما نهج النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي تراه أمثل لأن كل جماعة تدعى أنها على ذلك .

يجب على المسلمين الإلمام بتعاليم دينهم الإسلامية ، من الكتاب والسنة ونشرها بين الأمم ، ودعوتهم إلى الجهاد ، لأنه ذروة سنام الإسلام.

يجب إعداد العدة للجهاد ، وعلى الشباب أن يتدربوا عليه بل كل مستطيع من الكهول والشيوخ وحتى النساء ، لأن التدريب واجب من واجبات الجهاد.

يُوصي الباحث بالوقوف على السيرة النبوية العطرة ، التي هي خير معين للسائرين في طريق الدعوة إلى الله.